تأملات

في أثر العبادات وأعمال الطاعات
في تربية المسلمين والمسلمات

تأليف الأستاذ الدكتور

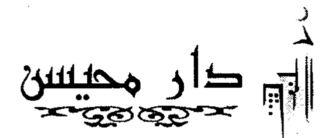
محمد سالم محيسن

تخصص في القراءات وعلوم القرآن
عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف
دكتوراه في الآداب العربية

دار محيسن
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



للطباعة والنشر والتوزيع

٤٣ طريق النصر (الأوتوستراد)
وحدة رقم ١ عمارات امتداد رمسيس ٢
مدينة نصر - القاهرة - ت : ٢٦٣١٤١٢ (٢٠٢)
المطابع : مدينة العبور - المجمع الصناعي - وحدة ٢٠٥

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/١١٢٥٣

الترقيم الدولى : 6-10-6076 -977

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتقريظ

الحمد لله القائل فى أول أمْرٍ فى كتابه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ١٩]

وفى آخر أَمْرٍ فيه: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [العلق: ١٩].

وفى أوّل نَهْى فيه: ﴿ فَلا تَجْعَلُوا للَّه أَندَادًا ﴾ [البقرة: ٢٢].

وفى آخر نَهْى فيه: ﴿ كَلاَّ لا تُطعْهُ ﴾ [العلق: ١٩].

وهذا هو عبادة الله تعالى المتضمّن للأمرين:

أحدهما: حصر الألوهية فيه - جلّ وعلا.

والثانى: نفيها عن غيره.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذى كانت تتورّم قدماه من شدّة القيام لله تعالى فى العبادة شكرًا له، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان. أما بعد:

فإن كتاب فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد محمد محمد سالم محيسن، الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:

تأملات فى أثر العبادات - وأعمال الطاعات

كتابٌ حوى الكثير من الآيات، والأحاديث الصحيحة.

وقد وُفِّقَ فضيلة الشيخ فى الاستدلال بها فيما أراد، ووظّفها فى جوانب مما دلّت عليها، مبتكرًا بأسلوب سَهْل، وعبارة واضحة، مما يُنْبِئ أن الدكتور محمد سالم محيسن قصده تحبيب الأمّة فى العبادة وطاعة الله تعالى، وإفْهَامُها فوائد العبادة المتنوعة.

وقد أَفْهَم بذلك مَنْ كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وحبَّبَ الطاعة، والعبادة لله تعالى إلى قلب كلّ مَنْ قرأه، ممّا يُرْجى به أن يكون سببًا فى رجوع الكثير لعبادة الله تعالى، والبُعْد عن معاصيه.

وختامًا أشكر الله تعالى، ثم أشكر لفضيلة الدكتور/ محمد سالم محيسن ما قام به للأمّة من جهد يردّ به منحرفَهم عن العصيان، ويُحبِّبُ إليهم الطاعة لله تعالى، وتثبيت عبّادها على طاعة الله تعالى.

أرجو من الله تعالى، لى وله ولجميع المسلمين التوفيق، والسَّداد، وأن يكون عمله هذا فى صحيفته يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

بقلم
فضيلة الأستاذ الدكتور
عبد الله ابن الشيخ محمد الأمين الشنقيطى
عميد كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٢/٧/٢٧هـ
الموافق ١٩٩٢/١/٣١م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وأشهد أن لا إله إلا الله، ورد فى محكم كتابه قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

والصلاة والسلام على رسول الله الذى صحّ عنه فى الحديث الذى رواه أبو هريرة - رضى الله عنه - حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: «مَنْ عادى لى وليّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إلىّ عبدى بشىء أحبّ إلىّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرّب إلىّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى أعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنّه»اهـ. [رواه البخارى]

وبعد: فإن العبادات، وأعمال الطاعات، من أفضل القربات التى يتقرّب بها الإنسان إلى الله تعالى. والعبادات، وسائر أعمال الطاعات لها الكثير من الحِكَم، والآثار الجليلة التى تربّى المسلمين والمسلمات على الأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة.

وقد تاقت نفسى أن أكتب عن هذا الموضوع الهام، الذى لم أُسْبَقْ له من قبل، فاستعنت بالله تعالى، وقمت بتصنيف هذا الكتاب، وسميته:

تأمّلات فى أثر العبادات، وأعمال الطاعات
فى تربية المسلمين والمسلمات
على أحسن الصفات

وإنى آمل من وراء هذا المصنّف أن ينفع الله به المسلمين والمسلمات وأن يكون بين عين كل مسلم قول الهادى البشير ﷺ :

«كلّ أمتى يدخلون الجنّة إلا مَنْ أبَى» قيلَ: ومَنْ يأبى يا رسول الله؟ قال: «مَنْ أطاعنى دخل الجنّة، ومَنْ عصانى فقد أبى». [رواه البخارى].

وختامًا أسأل الله تعالى بقلب مخلص أن يجعلنى من المطيعين له، وأن يجعلنى من الذين تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم، وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

وصلِّ اللهمّ على سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف
خادم العلم والقرآن
الدكتور/ محمد محمد محمد سالم محيسن
المدينة المنورة
الجمعة ٦ رجب سنة ١٤١٢هـ
الموافق ١٠ يناير سنة ١٩٩٢م

تمهيـــــد

عن إلقاء الضوء على أن الإسلام كان السبّاق إلى التدرّج فى تربية المسلم:

يعتقد الكثيرون أن علم التربية من العلوم المبتكرة حديثًا.

ولكنّى أقول لهم: لقد سبق الإسلام ذلك منذ زمن بعيد، يتضح ذلك بجلاء، ووضوح حينما نلقى نظرة على ما يأتى:

أولا: نزول القرآن الكريم منجمًا على النبى ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة، فما ذلك إلا لِحكمٍ تتعلق بتربية المسلم أشير إلى أهمها فيما يأتى:

* الحكمة الأولى: التدرج فى تربية الأمة الإسلامية التى لا زالت ناشئة، ويندرج تحت ذلك الأمور التالية:

الأمر الأول: التدرّج بهم فى تكليفهم بالواجبات مثل: الصلاة، والصيام، والجهاد، وغير ذلك من سائر أنواع العبادات، والمعاملات.

الأمر الثانى: التدرّج بهم فى تطهيرهم من العقائد الباطلة مثل: الشرك بالله تعالى، وإنكار البعث، وإنكار أن يكون لله رسول من البشر.

الأمر الثالث: التدرّج بهم فى تطهيرهم من العادات القبيحة التى توارثوها، ودرجوا عليها، وتأصّلت فى نفوسهم، حيث كان من المتعذر عليهم تركها مرّة واحدة، وذلك مثل: شرب الخمر، وأكل الربا، ونحو ذلك.

الأمر الرابع: التدرّج بهم فى تكميلهم بالعادات الحميدة، والفضائل الكريمة مثل: الصفح، والحلم، والإيثار، ورعاية الجوار إلى غير ذلك.

* الحكمة الثانية: من حِكَم نزول القرآن منجمًا: التدرّج فى التشريع الإسلامى، وما ذلك إلا مَثَلٌ رائع من أروع طرق التربية الإسلامية التى تتجلّى فيها رحمة الله تعالى بعباده فى أخذهم بالهوادة، والرفق، والبُعْد بهم عن غوائل الطّفرة، والعُنْف، مثال ذلك:

التدرّج فى تحريم الخمر حيث مرّ بأطوار ثلاثة:

الطور الأول: التصريح بأن الخمر ضررها أكثر من نفعها، وذلك للحث على التنفير منها، والبعد عنها، يرشد لذلك قول الله تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩].

الطور الثانى: تحريم الخمر قرب القيام إلى الصلاة حتى لا يدخل المصلّى الصلاة وهو سكران، يتضح ذلك فى قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣]

الطور الثالث: تحريم الخمر تحريمًا قطعيًا فى جميع الأوقات، والدليل على ذلك قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

إلى غير ذلك من الأمثلة التى يطول ذكرها.

والله أعلم

الباب الأول

أثر العبادات
فى تربية المسلمين والمسلمات

وفيه خمسة مباحث:

الأول: حقيقة العبادة وأثرها.
الثانى: الصلاة وأثرها.
الثالث: الزكاة وأثرها.
الرابع: الصوم وأثره.
الخامس: الحج وأثره.

المبحث الأول حقيقة العبادة وأثرها فى تربية المسلمين والمسلمات

إنّ من يعرف الله تعالى حقّ معرفته، ويخشاه حقّ خشيته، ويعبده حقّ عبادته، ويوحّده حقّ توحيده، يشعر من قلبه أنّ عبادة الله تعالى تستوعب كيان الإنسان كلّه: فكره، ولسانه، ورجله، ويده، بل جميع حواسّه، يشير إلى كل هذا الحديث الذى رواه أبو هريرة - رضى الله عنه - حيث قال: قال رسول الله ﷺ فى الحديث القدسىّ:

«إن الله تعالى قال: «مَنْ عادى لى وليّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إلىّ عبدى بشىء أحبّ إلىّ، مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى أعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنّه» اهـ[١].

فعبادة الإنسان لله تعالى تأتى بعدما يفكر المرء فى خالقه، ويعتقد اعتقادًا جازمًا عن طريق النقل والعقل أن الله تعالى أهل للعبادة، فيعبده حينئذ، وتستقرّ تلك العبادة فى قلبه.

وتظهر تلك العبادة على لسان المسلم حين يكرّر آيات الحمد، والثناء على الله خالقه، ورازقه:

فحين يريد المسلم أداء الصلاة مثلا، فإنه يفكّر فيها، وينشرح صدره عند القيام لأدائها، وتشترك جميع حواسّه فيها، فهو يسير على رجليه، ويستعين بيديه على استعمال الماء للوضوء، وغير ذلك من الحركات التى يؤدّيها بيديه تعظيمًا لله تعالى أثناء الصلاة.

(١) رواه البخارى، انظر: رياض الصالحين/ ١٨٦.

كما أنه يستعمل لسانه، وسمعه، وبصره، لأجل القيام بتلك العبادة ومن يقرأ القرآن بتدبّر وإنعام يجد الكثير من الآيات القرآنية التى تحثّ على التفكر فى مخلوقات الله تعالى، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾. [آل عمران: ١٩٠ - ١٩٤].

ومن يمعن النظر فى عبادة الله تعالى يجدها موزّعة على كلّ من:

١ - القلب، ٢ - واللسان، ٣ - وسائر الجوارح والحواسّ.

ولكلّ منها عبادة تخصّها، وتارة تشترك كلها أو بعضها فى نوع واحد من أنواع العبادة، وهذا ما سيتضح بجلاء أثناء المباحث الآتية.

ونظرًا لأن الوقوف على حقيقة العبادة لا يتذوّقه إلا من كان مخلصًا لله تعالى فى عبادته، بل فى سائر أعماله كلها، فقد رأيتُ أن أذكر قبسًا من أحاديث الهادى البشير ﷺ التى تحث على الإخلاص، وتبين فضله:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البيّنة: ٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩].

وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» اهـ[1].

(١) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٤.

وعن أبى هريرة عبد الرحمن بن صخْر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» اهـ[١].

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

«من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فارقها والله عنه راض» اهـ[٢].

وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - عن النبىّ ﷺ أنه قال فى حجة الوداع: «نضّر الله امْرأ سمع مقالتى فوعاها، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، ثلاثٌ لا يَغِلّ[٣] عليهن قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمّة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنّ دعاءهم محيط من ورائهم»اهـ[٤].

وعن الضحّاك بن قيس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله - تبارك وتعالى - يقول: أنا خير شريك، فمن أشرك معى شريكًا فهو لشريكى، يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم؛ فإن الله - تبارك وتعالى - لا يقبل من الأعمال إلا ما خَلَص له، ولا تقولوا: هذه للهّ وللرّحم وليس لله منها شىء، ولا تقولوا: هذه لله ولوجُوهكم فإنها لوجوهكم، وليس لله منها شىء» اهـ[٥].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنما يُبْعث الناسُ على نيّاتهم» اهـ[٦].

والله أعلم

---

(١) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٧.

(٢) رواه ابن ماجه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٣٣).

(٣) يقال: غلّ بكسر الغين: إذا كان ذا ضغن، وحقد.

(٤) رواه البّزار بإسناد حسن، انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٣٥).

(٥) رواه البزار بإسناد لا بأس به، انظر: المرجع السابق.

(٦) رواه ابن ماجه بإسناد حسن، انظر: المرجع السابق.

المبحث الثانى أثر الصلاة فى تربية المسلمين والمسلمات

وقد ضمنت هذا المبحث ما يأتى:

أ- أسرار الصلاة، وأثرها فى تربية الفرد، والجماعة.

ب - السرّ فى تكرار الصلاة يوميًا، وأثر ذلك فى تربية المسلمين والمسلمات.

جـ- بيان أن الصلاة تربية روحية.

د- أثر الصلاة فى تربية الجانب الروحى فى الفرد، والجماعة.

هـ- أثر الصلاة فى تنمية الأخلاق الفاضلة فى الفرد والجماعة.

و - أثر الصلاة فى تربية المسلمين والمسلمات على النظافة.

ز - أثر الصلاة فى تقوية البدن.

ح - قبس من الأحاديث الواردة فى فضل الصلاة.

وهذا تفصيل الحديث عن هذه الأمور فأقول وبالله التوفيق:

أ- الكشف عن أسرار الصلاة، وبيان أثرها فى تربية الفرد والجماعة:

مما لا شك فيه أنّ مَنْ منحه الله تعالى عقلا سليمًا، وقلبا خاشعًا، ونفسًا مطمئنة، يشعر بأن للعبادة مقاصد متعددة:

فى مقدّمة هذه المقاصد، وأعلاها درجة، وأسماها منزلة، حُسْن التوجّه إلى الله الواحد المعبود، وإفراده تعالى بالعبادة دون سواه، وهذا ما يتجلّى فى قول المؤمن:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٤].

ولعلّ الغاية القصوى من العبادة هى كسب رضوان الله تعالى، وبخاصّة فى الدار الآخرة؛ ليكون من أولياء الله المقرّبين إليه، والدّاخلين فى عطفه، ولطفه، وعفوه، وغفرانه، ورحمته، والخارجين من سخطه، وغضبه، وعقابه.

فالصلاة مثلا: لعلّ الحكمة فى مشروعيتها الخضوع التامّ لله - سبحانه وتعالى - بإخلاص التوجّه إليه، والوقوف على قدم العبوديّة بين يديه، وتذكير النفس بما لله تعالى عليها من حقوق، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

إذًا فالصلاة تشتمل على التذكير بأن الله تعالى أكبر من كل شىء سواه، وأن الإنسان فى الصلاة يطلب من الله تعالى أن يكفّر عنه خطاياه، وأن يقبل منه عبادته، ويجعله من الفائزين فى الدنيا والآخرة، يوضح ذلك قول الله تعالى:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

فصفات المؤمن عبادة، وأخلاق، وقد بيّن القرآن مرّة جانب العبادة، وأخرى جانب الأخلاق:

ففى سورة الذاريات مثلا نجد العناية بالعبادة فى وصف المتّقين بارزة فى قوله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٦-١٩].

وفى سورة الرعد نجد العناية بالجانب الأخلاقى بارزة فى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ١٩-٢٤].

وإذا ما أنعمنا النظر فى هذه الأوصاف الأخلاقية مثل:

الوفاء، والصبر، وصلة الرحم، والإنفاق فى سبيل الله. . . إلخ.

نجدها أخلاقًا فيها معنى العبادة، والتقوى؛ لأن الوفاء، المقصود به: الوفاء بعهد الله، وأنهم حين يصبرون فإنما يقصدون بذلك رضا الله تعالى، فهم فى كلّ أخلاقهم، وسلوكهم نجدهم يرجون بذلك وجه الله تعالى.

● **والخلاصة:** إن كل ما يقال فى هذا الصدد: إنّ العبادة عند المؤمن لون من ألوان أخلاقه، كما أنّ أخلاقه لون من ألوان عبادته؛ لأنهما وفاء لله، وشكر لنعم الله، واعتراف بفضل الله، فكلها مكارم أخلاقية يتحلّى بها الفضلاء من المسلمين. فالمؤمن يعتبر الأخلاق الحميدة ضربًا من ضروب العبادة المفروضة، فهو يؤدّيها، ويعنى بها كما يؤدّى غيرها من الفرائض التى أمر القرآن الكريم بها.

استمع معى إلى قول الله تعالى فى وصف المؤمنين:

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٥-٢٢].

حقًا: إن الجزاء من جنس العمل، وصدق الله حيث قال:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

فالصلاة كما أمر الله تعالى هى ركوع، وسجود، ودعاء، وتسبيحات، وحركات، وسكنات، أدّاها النبى ﷺ أمام أصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين -، وكان يقول لهم: «صلُّوا كما رأيتمونى أصلّى».

فحفظوها عنه، وتوارثها المسلمون جيلا بعد جيل إلى وقتنا هذا وإن شاء الله تعالى ستظل إلى قيام الساعة.

وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

فالصلاة ليست مجرد ابتهال، ودعاء، وحركات، وسكنات، بل هى إلى جانب ذلك: أقوال، وأعمال يشترك فيها القلب، والفكر، واللسان.

وقد وزّعت الصلاة على أوقات الليل والنهار بمواقيت معيّنة، وحدّد الشارع لكل صلاة منها ركعات معدودة، ورتّب كيفيتها على نسق موحّد معلوم.

إنَّ إقام الصلاة بهذه الصورة، وتلك الشروط التى رسمها المنهج الإسلامى لم يعرفه دين من الأديان السماوية السابقة، والأصل فى الصلاة أنها تؤدّى امتثالا لأمر الله تعالى، وأداء لحقّه على عباده، وشكرًا له على نعمائه.

ولقد عنى الدين الإسلامى بأمر الصلاة، وطلب من كل مسلم ومسلمة أن يؤديها كاملة غير منقوصة، وحذر من تركها، أو التقصير فيها، يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥].

كما اعتبر الإسلام الصلاة عماد الدين، ومفتاح الجنة، وخير الأعمال، وهى أوّل ما يحاسب عليه المسلم يوم القيامة، يوضح ذلك الحديثان التاليان:

١ - فعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ بين الرجل وبين الشرك، والكفر ترك الصلاة» اهـ[1].

(١) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٤٤٠.

٢ - وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر» اهـ[١].

ب - **السرّ فى تكرار الصلاة يوميًا، وأثر ذلك فى تربية المسلمين والمسلمات:**

لقد جعل الإسلام الصلاة على المسلمين كتابًا موقوتًا، وأمرهم بإقامتها حين يمسون وحين يصبحون، وعشيًا وحين يظهرون، يكررها المسلم كل يوم خمس مرات؛ لتكون هناك - دائمًا - صلة روحيّة مع الله تعالى، يتطهر بها من غفلات قلبه، وأدران خطاياه، يرشد إلى ذلك الحديثان التاليان:

١ - فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهْرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شىء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا» اهـ[٢].

٢ - وعن عثمان بن عفّان - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفّارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله» اهـ[٣].

أخى المسلم لقد خلق الله تعالى الإنسان وجعله خَلْقًا عجيبًا، إذْ جعل فيه الجانب الروحانى كالملائكة، والجانب الشهوانى كالبهائم، والجانب العدوانى كالسباع فى ضراوتها.

لذلك نجده كثيرًا ما تغلبه شهوته، ويستفزّه الغضب فيقع فى الخطايا، ويتردّى فى الدنايا، وليس العيب أن يخطئ الإنسان، فكل بنى آدم خطاء ولكن العيب كل العيب هو أن يتمادى الإنسان فى الخطأ، والانحدار حتى يصير كالأنعام، بل أضلّ سبيلا.

---

(١) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن، انظر: رياض الصالحين/ ٤٤٠.
(٢) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٤٣٠.
(٣) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٤٣١.

ففى الصلاة اليوميّة فرصة ليروّض الإنسان نفسه، وينشّئها على الفضائل؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

إذًا فالصلاة التى يقف فيها الإنسان بين يدى الله تعالى خمس مرات كل يوم وليلة فرصة جيّدة ليثوب فيها المخطئ إلى رشده، ويفيق المغرور من سيئاته، ويرجع الإنسان العاصى إلى ربه وخالقه.

وفى كل هذا تربية عظيمة للنفس على الفضائل، لا يعدلها تربية أخرى، يوضح ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وعن أبى عبد الرحمن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليك بكثرة السجود؛ فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحطّ عنك بها خطيئة» اهـ[(١)].

جـ - بيان أن الصلاة تربية روحيّة:

إن أثر الصلاة ليس مقصوراً على هذا الجانب الذى سبق أن أشرتُ إليه وهو: غسْل الأدران، وتكفير الخطايا والذنوب، ولكن للصلاة غير ذلك أثرا آخر له قيمته، ومنزلته فى تربية روح المسلم والمسلمة:

إن فى الإنسان روحًا لا يكفيها غذاء العلماء، ولا أدب الأدباء، ولا فلسفة المتفلسفين، وإنما لها غذاء آخر أسمى من كل هذا، ألا وهو: معرفة الله تعالى وحسن الصلة به، فالصلوات الخمس هى الغذاء الروحى اليومى للإنسان، وفى هذا المقام تروى لنا أم المؤمنين «عائشة» - رضى الله عنها - فتقول: كان النبى ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورا» اهـ[(٢)].

---

(١) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٦٣.
(٢) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٦٠.

ففى مناجاة العبد لربّه فى صلواته غذاء روحىّ، وشحنة قدسيّة تنير القلب، وتشرح الصدر.

وفى الصلاة يقف الإنسان بين يدى ربّه بلا حجاب، ويكلمه بلا وسيط، ولا ترجمان، ويناجية مناجاة القريب غير البعيد، وهو حين يستعين به تعالى فإنما يستعين بعزيز غير ذليل، وحين يسأله فإنما يسأل غنيّا غير فقير، يشير إلى ذلك الحديث الآتى:

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهى خداج، ثلاثًا، غير تمام»، فقيل لأبى هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال: اقرأ بها فى نفسك، فإنى سمعت النبى ﷺ يقول: «قال الله - عزّ وجلّ -: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد: «الحمد لله رب العالمين»، قال الله - عزّ وجلّ -: حمدنى عبدى، وإذا قال: «الرحمن الرحيم»، قال الله - عزّ وجلّ -: أثنى علىّ عبدى، وإذا قال: «مالك يوم الدين» قال الله: مجّدنى عبدى، وقال مرّة: فوّض إلىّ عبدى، فإذا قال: «إياك نعبد وإياك نستعين» قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال: هذا لعبدى ولعبد ما سأل»[١].

وعن جُنْدب بن سفيان - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى الصبح فهو فى ذمّة الله، فانظر يا بن آدم لا يطلبنّك الله من ذمته بشىء» اهـ[٢].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» اهـ[٣].

---

(١) رواه مسلم، انظر: الأحاديث القدسية (١/ ١٤).
(٢) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٤٣٢.
(٣) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٤٣٤.

د- أثر الصلاة في تربية الجانب الروحي في الفرد والجماعة:

مما لا ريب فيه أن من يؤدّى الصلاة بشروطها، وأركانها، وآدابها، فإنه يشعر شعورًا حقيقيًا بأنها تمدّه بقوّة روحيّة، تعينه على مواجهة متاعب الحياة، ومصائب الدنيا، يتجلّى ذلك فى قول الله تعالى:

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

وقد جاء فى الأثر: أن النبى ﷺ كان إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة.

فالمؤمن فى الصلاة يتجه إلى ربه بنفسه، وجوارحه كلها، يشكو إلى الله بثّه، وحزنه، وآلامه، ويستفتح باب رحمته، ويطلب منه أن يُنزل عليه غيث رحمته، وينشر عليه رضوانه، وهذا لا يتأتّى إلا بالسّكينة، والخشوع، يوضح ذلك قول الله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

فلا عجب إذن أن الله تعالى يمدّ المصلين الخاشعين بحيوية هائلة، وقوّة روحيّة، ونفسية فياضة، يشير إلى ذلك الأحاديث الآتية:

١ - فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارْقد، فإذا استيقظ فذكر الله تعالى انحلّت عقدة، فإذا توضأ انحلّت عقدة، فإن صلّى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» اهـ[1].

٢ - وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فى الليل لساعة، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرًا من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إيّاه، وذلك كل ليلة» اهـ[2].

(١) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٤٦٣.
(٢) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٤٦٦.

٣ - وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصلّيا، أو صلّى ركعتين جميعًا، كُتبَا فى الذاكرين، والذاكرات» اهـ[١].

هـ - أثر الصلاة فى تنمية الأخلاق الفاضلة فى الفرد، والجماعة:

مما هو مشاهد فى الكثيرين من المسلمين أن فى الصلاة قوّة تمدّ ضمير الإنسان المؤمن بما يعينه على فعل الخير، وترك الشرّ، ومجانبة الفحشاء، والمنكر.

كما تقوى نفس المؤمن بما يصدّ عنه الجزع، والفزع، والهلع، عند الملمّات، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٣].

كما أن الصلاة تنمّى فى نفس المؤمن الدقّة فى الحفاظ على الالتزام بالمواعيد، وتدفعه بقوّة روحيّة ليتغلب على نوازع الكسل، والضعف، كما أنها تحثّ الإنسان دائمًا على المحافظة على سائر الأعمال المشروعة، وأن يقلع عن محدثات الأمور.

و - أثر الصلاة فى تربية المسلمين والمسلمات على النظافة:

الصلاة فى الإسلام لها الأثر الواضح فى تربية المسلمين على النظافة بما فى هذه الكلمة من معنى:

نظافة البدن، والثوب، والمكان الذى يريد أن يصلى فيه الإنسان؛ إذ اشترط الله تعالى لقبول الصلاة أن يكون الإنسان متطهرًا، من جميع النجاسات فى بدنه، وثوبه، والمكان الذى يؤدّى فيه الصلاة.

وقد أوجب الإسلام على كل مسلم التطهر بالوضوء تارة، وبالغسل أخرى، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦].

(١) رواه أبو داود بإسناد حسن، انظر: المصدر المتقدم/ ٤٦٧.

وقال تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨].

وعن أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنهما - قالت: جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت: إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة كيف تصنع به؟

قال: «تحتّه، ثمّ تقرضه بالماء، ثم تنضحه، ثم تصلّى فيه» اهـ[١].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليرقه، ثم ليغسله سبع مرات».

وفى رواية: «أولاهنّ، أو إحداهنّ بالتراب».

وفى أخرى: «السابعة بالتراب». . . اهـ[٢].

إلى غير ذلك من النصوص التى تريد من المسلم أن يكون متطهر الثوب، والبدن، والمكان، كى تصحّ صلاته.

وفى ذلك تربية للنفس، وترويض لها على الطهارة، والنظافة.

* بل نجد بعض الأحاديث ترغّب فى الطهارة، وتحثّ عليها، وتبين أن فى ذلك الأجر العظيم من الله تعالى، من هذه الأحاديث ما يلى:

١ - عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المسلم، أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيّا من الذنوب» اهـ[٣].

---

(١) رواه الخمسة، انظر: التاج (١/ ٨٥).
(٢) المرجع السابق.
(٣) رواه مسلم، والترمذى، انظر: التاج (١/ ٢٨).

٢ - وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غُفِر له ما بينه وبين الجمعة، وزيادة ثلاثة أيام، ومن مسّ الحصى فقد لغا» اهـ[١].

٣ - وعن سلمان - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمسّ من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلى ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلّم الإمام، إلا غُفِر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» اهـ[٢].

ز - أثر الصلاة فى تقوية البدن:

مما لا جدال فيه أن الرياضة التى تكسب الجسم قوّة معقولة، ومرغوبة، قد حثّ الإسلام عليها.

والصلاة تغرس فى نفس المسلم القوة، والنشاط، وتحثّه على أن يستيقظ مبكرًا من نومه فيكسبه ذلك قوّة ونشاطًا. والصلاة بحركاتها المأثورة عن النبى ﷺ فيها بعض التمارين الرياضية التى يزاولها الرياضيون فى الوقت الحاضر.

إذًا فالصلاة تنشّط جسم المسلم، وتقّوى عضلاته، والمؤمن القوىّ خير وأحبّ إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وفى كلّ خير.

ح - قبس من الأحاديث الواردة فى فضل الصلاة:

لقد جاء فى فضل الصلاة، والمحافظة عليها، والإيمان بوجوبها الكثير من الأحاديث الصحيحة، أقتبس منها ما يأتى:

عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت» اهـ[٣].

(١) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٤٥٩.
(٢) رواه البخارى، انظر: رياض الصالحين/ ٤٦٠.
(٣) رواه الشيخان، انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٣٠٠).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أنّ نهْرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كلّ يوم خمس مرّات هل يبقى من درنه شيء؟».

قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا» اهـ(١).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفّارات لما بينهنّ ما لم تُغْش الكبائر» اهـ(٢).

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أوّل ما افترض الله على الناس من دينهم الصلاة، وآخر ما بقي: الصلاة، وأوّل ما يُحاسب به: الصلاة، ويقول الله: انظروا هل لعبدى من تطوّع؟ فإن وُجد له تطوّع تمّت الفريضةُ من التطوّع، ثم قال: انظروا: هل زكاته تامّة؟ فإن كانت تامّة كتبت تامّة، وإن كانت ناقصة قال: انظروا هل له صدقة؟ فإن كانت له صدقة تمت له زكاته» اهـ(٣).

وعن أبى الدرداء - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس مَنْ جاء بهنّ مع إيمان دخل الجنّة: من حافظ على الصلوات الخمس: على وضوئهن، وركوعهنّ، وسجودهنّ، ومواقيتهنّ، وصام رمضان، وحجّ البيت إن استطاع إليه سبيلا، وآتى الزكاة طيبة بها نفسه، وأدّى الأمانة، قيل: يا رسول الله وما أداء الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة، إن الله لم يأتمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها» اهـ(٤).

وعن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خمس صلوات كتبهنّ الله على العباد، فمن جاء بهنّ ولم يضيّع منهنّ شيئًا استخفافًا بحقّهنّ كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهنّ فليس له عند الله عهد إن شاء عذّبه، وإن شاء أدخله الجنّة» اهـ(٥).

(١) رواه الشيخان، والترمذى، انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٣٠٢).
(٢) رواه مسلم، والترمذى، انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٣٠٣).
(٣) رواه أبو يعلى، انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٣١٤).
(٤) رواه الطبرانى بإسناد جيّد، انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٣١٥).
(٥) رواه أبو داود، والنسائى، انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٣١٦).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فسأله عن أفضل الأعمال؟ فقال رسول الله ﷺ: «الصلاة» قال: ثمّ مَهْ؟ قال: «ثم الصلاة» قال: ثمّ مه؟ قال: «ثم الصلاة» (ثلاث مرات) قال: ثمّ مه؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله» اهـ[١].

وعن حنظلة الكاتب - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حافظ على الصلوات الخمس: ركوعهنّ، وسجودهنّ، ومواقيتهن، وعلم أنهنّ حقّ من عند الله دخل الجنّة، أو قال: وجبت له الجنّة، أو قال: حَرُم على النار» اهـ[٢].

والله أعلم

(١) رواه أحمد وابن حبّان فى صحيحه واللفظ له، انظر: الترغيب (١/ ٣٢٢).
(٢) رواه أحمد بإسناد جيّد، انظر: الترغيب (١/ ٣٢٤).

المبحث الثالث أثر الزكاة فى تربية المسلمين والمسلمات على الفضيلة والتطهير من الشح البغيض

إن الزكاة فى حقيقتها، وفى واقع الأمر هى حقّ الله تعالى فى أموال الأغنياء؛ لأن المالك الحقيقىّ للمال هو الله - جلّت قدرته -، وما الأثرياء، والأغنياء إلا وكلاء فى مال الله تعالى، فمن أحسن الوكالة استمرّ فى وكالته، ومن أساء إليها سُحبتْ منه الوكالة - والعياذ بالله -، وإلى هذا المعنى يشير قول الله تعالى: ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ [النور: ٣٣].

ويؤيّد هذا الحديث الذى رواه أبو هريرة - رضى الله عنه - حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ يوم يُصْبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفا» اهـ[١].

ويقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

ويقول: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وكلمة الزكاة فى اللغة العربية لها معنيان هما:

الأول: الطهارة. والثاني: الزيادة، والنماء.

ولقد اختار الإسلام هذه الكلمة؛ ليعبّر بها عن الفريضة الإسلاميّة تعبيراً عامّا وشاملاً؛ لأن هذا اللفظ - الزكاة - يكشف عمّا يقصده الإسلام من وراء هذه الفريضة. فالزكاة طهارة لنفس الغنىّ من الشحّ البغيض، وصدق الله حيث قال: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

وبالإضافة إلى أن الزكاة طهارة لنفْس معطيها، هى فى الوقت نفسه طهارة لنفوس الفقراء من الحسد، والضغينة على الأغنياء؛ لأن الإحسان من شأنه أن يستميل قلوب المحْسَن إليهم إلى المحْسِن.

(١) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٢٥٩.

كما أن من شأنه أن يملأ قلوب الفقراء المحبّة للأغنياء؛ ثم هى - أى الزكاة - طهارة للمال الذى تعلّق به حق الفقراء، وفى هذا يقول النبى ﷺ:

«حصّنوا أموالكم بالزكاة»(١).

وكما أن الزكاة تطهّر نفس المسلم من الشّحّ، هى أيضًا تدريب له على صفة البذل والإنفاق.

فمما هو معروف أن للعادة أثرها العميق فى خُلُق الإنسان، وسلوكه، وتوجيهه.

والمسلم الذى يتعوّد الإنفاق وإخراج الزكاة، هذا المسلم قد يصبح الإعطاء، والإنفاق صفة أصيلة من صفاته، وخُلُقا عريقًا من أخلاقه.

وهذا هو المقصود من أثر إخراج الزكاة فى تربية المسلم على الفضيلة، وتخليصه من الشّحّ والرذيلة.

والإنسان إذا تطهّر من الشحّ والبخل، واعتاد البذلَ والعطاء، ارتقى من حضيض الشحّ الإنسانىّ إلى صفة الكرم والجود.

يرشد إلى ذلك الحديث التالى:

فعن أبى أمامة صُدَىّ بن عجلان - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بن آدم إنّك إن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شرّ لك، ولا تُلامُ على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العُلْيا خير من اليد السّفلى»اهـ(٢).

والزكاة من جهة أخرى تعتبر تنبيها للقلب على واجبه نحو خالقه، ورازقه، كما تُعْتبر علاجًا للقلب من الاستغراق فى حبّ الدنيا، وحبّ المال.

ولقد اقتضت حكمة الشارع تكليف مالك المال بإخراج جزء من ماله؛ ليصير ذلك الإخراج كَسْرًا لنفسه، وشهواته من شدّة الميل إلى المال، ومنعا من انصراف النفس بالكلّية إليه، وتنبيهًا على أن سعادة الإنسان لا تحصل عند الاشتغال بحبّ المال، وإنما تحصل بإنفاق المال فى طلب مرضاة الله تعالى، إذًا فإيجاب الزكاة خير علاج لإزالة مرض حبّ الدنيا عن القلب.

(١) رواه أبو داود، انظر: كيف السبيل إلى الله/ ١٩٢.

(٢) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٢٦٠.

ومن يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث التى تحثّ على الصدقة، وتبين فضلها، وهذا قبس منها:

فعن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة[١] من كَسْب طيّب، ولا يقبل الله إلا الطيِّب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربّيها لصاحبها كما يربّى أحدكم فَلُوَّه[٢] حتى تكون مثل الجبل» اهـ[٣].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ما نَقصَت صدقةٌ من مال، وما زاد اللهُ عبدًا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله - عزّ وجلّ» اهـ[٤].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول العبد مالى مالى، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى[٥] ما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس»اهـ[٦].

وعن «عائشة» أم المؤمنين - رضى الله عنها - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة استترى من النار، ولو بشقّ تمرة، فإنها تسدّ من الجائع مسدّها من الشبعان»اهـ[٧].

وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لكعْب بن عُجْرة: «يا كَعْب بنَ عُجْرة: الصلاة قُرْبان، والصيام جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ، يا كعْب بنَ عُجْرة: الناس غاديان[٨] فبائع نفسه فموثق رقبته[٩] ومُبْتاع نفسه فى عتق رقبته» اهـ[١٠].

والله أعلم

---

(١) العدْل بكسر العين وفتحها: بمعنى النظير المساوى.
(٢) الفلو: بفتح الفاء وضمها، الجحش، المهر فطما، أو بلغا سنة.
(٣) رواه الشيخان، والنسائى، والترمذى، وابن ماجه، انظر: الترغيب (٢/ ٣).
(٤) رواه مسلم، والترمذى، انظر: الترغيب (٢/ ٣).
(٥) فاقتنى: أى أبقى وادّخر.
(٦) رواه مسلم، انظر: الترغيب ج٢/ ٧.
(٧) رواه أحمد بإسناد حسن، انظر: الترغيب ج٢/ ٩.
(٨) غاديان: تثنية «غاد» اسم فاعل من «غدا يغدو»، إذا ذهب غدوة أول النهار.
(٩) يقال أوثقه إيثاقًا: شدّه بالوثاق، وهو كل ما يربط به من قيد، أو حبل، أو نحوهما.
(١٠) رواه أبو يعلى بإسناد صحيح، انظر: الترغيب ج٢/ ١٠.

المبحث الرابع أثر الصوم فى تربية المسلمين والمسلمات

وقد تحدثت فيه عن الأمور الآتية:

أ - الصوم تربية وجهاد.

ب - مزايا الصوم وتتمثل فيما يلى:

١ - تهيئة الصائم نفسيا لتقوى الله تعالى.

٢ - تذكير الصائم بحال الفقراء.

٣ - الصوم مظهر من مظاهر المساواة.

٤ - الصوم وسيلة لتخفيف حدّة النَّهم.

٥ - للصوم فوائد روحية.

جـ - فضائل الصوم.

وهذا تفصيل الحديث عن هذه الآثار حسب ترتيبها:

أ - الصوم تربية وجهاد:

ويتمثل ذلك فى أن الصوم عبادة تتمثل فى أمرين هامين هما:

الأول: طاعة الله تعالى فى الامتناع عن جميع المفطرات.

والثانى: جهاد النفس، ومخالفة أهوائها.

وكلا الأمرين سرّ بين العبد وربّه، لا يقبل الله فيهما إلا الصدق، والإخلاص.

والصيام بمعناه الدقيق: هو تكييف الإنسان لنفسه بنفسه فى حالات نموّه المادى، والروحى، وحفظ التوازن بينهما بحيث لا تقوى روحه على حساب مادّته، ولا تطغى مادّته على حساب روحه.

والذى يتطلبه الإسلام أن يكون المسلم وسطا بين الأمرين؛ لأنه ليس ملكًا فيستغنى عن الطعام والشراب، ولا جسدًا بحيث يعيش للطعام والشراب فقط.

ويوضح هذين المعنيين الحديث التالى: فعن أنس بن مالك -رضى الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى - عليه الصلاة والسلام -، فلمّا أخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ قد غُفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أمّا أنا فإنى أصلّى الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إنى لأخشاكم للّه، وأتقاكم له، لكنّى أصوم وأفطر، وأصلّى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منّى» اهـ[١].

ب - مزايا الصوم:

أولا: تهيئة الصائم نفسيًا إلى تقوى الله تعالى بترك شهواته الطبيعية المباحة، والميسورة، امتثالا لأمر الله تعالى، واحتسابًا للأجر، فتتربّى بذلك فيه ملكة ترك الشهوات المحرّمة، والصبر عنها، ويقوى على النهوض بالعبادات، والاصطبار عليها، ويعتاد الثبات على العبادة، ولذا نجد النبى ﷺ يقول فى الحديث القدسىّ: «قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى، وأنا أجزى به، والصيام جنّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابّه أحد، أو قاتله فليقل: إنى امرؤ صائم، والذى نفس «محمد» بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح، وإذا لقى ربّه فَرِح بصومه»اهـ[٢].

ثانيًا: تذكير الصائم بحال الفقراء، عندما يحسّ يشعر بآلام الجوع، فقد يحمله ذلك على العطف على المحتاجين، والفقراء، والمساكين.

وفى هذا تربية للنفس على العطف، والجود، والسخاء، وترويض لها على ترك البخل، والشحّ، وصدق الله حيث قال:

---

(١) رواه أحمد، والترمذى بسند حسن، انظر: التاج (٢/٢٧٨).

(٢) رواه مسلم، انظر: الأحاديث القدسية (١/١٧٣).

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود من الريح المرسلة... اهـ(١).

ثالثا: أنه مظهر من مظاهر المساواة بين الأغنياء والفقراء.

والمساواة ميزة، وخاصّية امتازت بها الأمة الإسلامية، وتفرّدت بها عن جميع الأمم، وهذا يتجلّى فى كثير من العبادات التى أحدها الصوم.

رابعا: أنه وسيلة إلى تخفيف حدّة النهم، وذلك مما يدعو إلى راحة المعدة، وصحة الجسم.

ولذا نجد النبى ﷺ يحث على الجوع، بل نجده ينفذه بنفسه، وقد ورد فى ذلك الكثير من الأحاديث، أقتبس منها ما يلى:

فعن «عائشة» أم المؤمنين - رضى الله عنها - قالت: ما شبع آل «محمد» ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض... اهـ(٢).

وعن أبى محمد فضالة بن عبيد الأنصارىّ - رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «طوبى لمن هدى إلى الإسلام، وكان عيشه كفافًا وقنع» اهـ(٣).

وعن أبى كريمة المقدام بن معديكرب - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمىّ وعاء شرا من بطنٍ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه» اهـ(٤).

خامسا: أن له فوائد روحية، لعل أهمها ما يلى: الصوم موسم روحىّ يُطلَبُ من الصائم تركُ المعاصى، والمآثم، وفى ذلك تربية للنفس، وترويض لها على

(١) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٤٨٠.
(٢) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٢٣٤.
(٣) رواه الترمذى، وقال حسن صحيح انظر: رياض الصالحين/ ٢٢٦.
(٤) رواه الترمذى، وقال حسن صحيح انظر: رياض الصالحين/ ٢٤٤.

خشية الله تعالى، ومراقبته، وصدق الرسول ﷺ حيث قال فى الحديث الذى رواه أبو هريرة - رضى الله عنه -: «من لم يدع قول الزور، والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه، وشرابه»اهـ[١].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابّه أحد، أو قاتله فليقل: إنىّ صائم»اهـ[٢].

جـ - **فضائل الصوم:**

من يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث التى تحثّ على الصوم، وتبيّن فضله، أقتبس منها ما يأتى:

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا، واحتسابًا غُفِر له ما تقدّم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدّم من ذنبه» اهـ[٣].

وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «من صام رمضان، وعرف حدوده، وتحفّظ مما ينبغى له أن يَتَحفّظ كفّر ما قبله» اهـ[٤].

وعن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال يومًا وحضر رمضان: «أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهى بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرًا، فإن الشقىّ من حُرِم فيه رحمة الله - عزّ وجلّ»اهـ[٥].

والله أعلم

(١) رواه البخارى، انظر: رياض الصالحين/ ٤٨٥.
(٢) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٤٨٥.
(٣) رواه الشيخان، وأبو داود، والنسائى، انظر: الترغيب (٢/ ١٣٤).
(٤) رواه ابن حبّان، والبيهقى، انظر: الترغيب (٢/ ١٣٦).
(٥) رواه الطبرانى، ورواته ثقات، انظر: الترغيب (٢/ ١٤٩).

المبحث الخامس أثر الحج فى تربية المسلمين والمسلمات

وقد تحدثت فيه عن الأمور الآتية:

أ - الحج مظهر من مظاهر العبودية لله تعالى.

ب - الحج مظهر من مظاهر شكر النعمة لله تعالى.

جـ - الحج مظهر من مظاهر تهذيب الأخلاق.

د - بعض أسرار مناسك الحج.

هـ - فضائل الحج.

وهذا تفصيل الحديث عن هذه الأمور حسب ترتيبها:

أ - الحج مظهر من مظاهر العبوديّة لله تعالى:

أمّا إظهار العبودية لله تعالى: فهى إظهار التذلّل للمعبود؛ لأن الحاجّ حال إحرامه يظهر الشعث، ويتخلّى عن أسباب التزيّن، والتمتّع.

وفى حال طوافه حول البيت يكون الحاج بمنزلة عبْد معتكف على باب مولاه، لائذ بحماه.

وفى هذا ترويض للنفس، وتعويد لها على أنه ينبغى للإنسان ألا يلجأ إلا لله تعالى، لا لأحد سواه مهما كان.

وفى حال وقوفه بعرفة يبدو كعبد عصى مولاه، فوقف بين يديه متضرّعًا حامدًا له، مثنيًا عليه، مستقيلا لعثراته.

ولذا روى عن «عائشة» أم المؤمنين - رضى الله عنها - أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة» اهـ.

ب - الحج مظهر من مظاهر شكر النعمة لله تعالى:

وذلك لأن الحج جمع بين العبادة الروحيّة، والبدنية، والماليّة.

ولذا لا يجب الحجّ إلا عند وجود المال، وصحة البدن، فكان فيه حينئذ شكر للنعمتين معًا، وشكر النعمة واجب لله تعالى على عباده، قال تعالى: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم: ٧].

جـ - الحج تهذيب للأخلاق:

إنّ من يقصد الحج تراه قد انتقل من حالة إلى حالة، وصار من الذين أنعم الله عليهم بنعمة الأخلاق الفاضلة، الخالصة من كلّ الشوائب؛ لأن الحاجّ إذا قصد الحجّ فإنه يتوب إلى الله تعالى، ويعزم على ألا يعود إلى ارتكاب الذنوب.

وفى هذا تكفير للذنوب إذا صدقت نيته فى التوبة، قال الله تعالى:

﴿ وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [النور: ٣١].

د - بعض أسرار مناسك الحج:

إن من ينظر بقلب خاشع، وفكر ثاقب إلى مناسك الحج يستطيع أن يستشف من خلال ذلك الكثير من الحكم البليغة، والأسرار العالية التي تفيد بلا شك فى تربية المسلمين والمسلمات.

وأنا لا أقصد من حديثى هذا العدّ والحصر لهذه الأسرار، وإنما أردت أن ألقى الضوء على بعض الأسرار، وأبين أثرها فى تربية المسلمين والمسلمات وذلك فيما يلى:

أولا: الحكمة من جَعْل الحجّ فى هذه الأماكن المخصوصة بالذات:

لعلّ ذلك يرجع إلى عدّة أسباب أذكر منها ما يلي:

١ - أن المسلمين إذا حجّوا بيت الله الحرام تذكروا أيّام أبيهم «إبراهيم» - عليه السلام -، وتذكروا ما ذكره القرآن: ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

٢ - هذه الأماكن تذكر المسلمين بالموطن الأول الذى ظهر فيه الدين الإسلامىّ الحنيف، وتذكره بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح:٢٨].

ثانيًا: الحكمة من عدم لبْس المخيط للرجال أثناء الإحرام:

لعل ذلك يرجع إلى عدّة أمور أذكر منها ما يلى:

١ - أن يكون المسلم فى أعلى درجات الخضوع، والتذلّل لله تعالى، وكأنّ لسان حاله ينادى ويقول: (ربّ إنى لا أملك من الأمر شيئًا، وإن كل ما فى الوجود لا أملك منه قليلا ولا كثيرًا، وإنك أنت المالك لكل شىء، وها أنا بين يديك كيوم ولدتنى أمّى ليس علىّ من متاع الدنيا إلا ما أستر به عورتى).

ولا شكّ أن هذه الحالة تمثّل أسمى درجات الخشوع، ولعلها تكون الغاية القصوى فى درجات التذلّل والخضوع لله تعالى.

ومما لا شك فيه أن مثل هذه الحالة لها الأثر الواضح فى تربية النفس، وقهرها عن الكِبْر والعظمة، وسائر الأمراض النفسيّة والعياذ بالله تعالى.

٢ - ان هذا اللباس البسيط الذى يلبسه الحاجّ فيه إشارة للمساواة بين المسلمين، وفيه دلالة على أن الإنسان خرج من زخارف الدنيا، وزينتها، وتوجّه بقلب مخلص إلى ربّه وخالقه يناجيه بهذا اللباس الذى يستوى فيه الأغنياء والفقراء. وبهذا يكون الحاجّ قد نزع عن نفسه مظاهر الفخار، وجرّدها من كلّ ما يملك من الدنيا إلا من هذا اللباس البسيط.

وفى هذا ترويض للنفس وتربية لها على عدم التعلق بالدنيا، والتفانى فيها، وما ينبغى له أن يأخذ منها إلا ما يبلّغه للدار الآخرة.

استمع معى إلى قول ابن عمر - رضى الله عنهما -: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك[1].

(١) رواه البخارى، انظر: رياض الصالحين/ ٢٢٧.

وعن أبى سعيد الخدرىّ - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء»اهـ[١].

ثالثًا: الحكمة من الطواف ببيت الله الحرام:

الطواف ثلاثة أنواع:

١ - طواف القدوم. ٢ - طواف الإفاضة. ٣ - طواف الوداع.

ولكلّ نوع من هذه الأنواع حِكَمٌ أشير إليها فيما يلى:

حكمة طواف القدوم: مما هو معلوم أن بيت الله الحرام يعتبر أشرف بقعة فى الأرض على الإطلاق، وهو أوّل بيت وضع فى الأرض، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٦].

لهذا كان من الآداب أن يؤدّى الحاجّ لبيت الله التحيّة المشعرة بالإجلال، والاحترام.

وقد بين الشرع أنّ تحيّة البيت هى الطواف.

ومما لا ريب فيه أن الالتزام بالآداب الإسلامية يغرس فى النفوس الفضيلة، وينشؤها على التحلّى بالأخلاق الكريمة، وهذا أثر طيب فى تربية المسلمين.

حكمة طواف الإفاضة: لعلّ الحكمة من ذلك ترجع إلى أن الحاجّ يريد أن يبادر إلى الطواف ليسعد بإتمام حجّه.

ولهذا شرع له بعد أداء طواف الإفاضة التحلّل الأكبر، بحيث يصبح الحاجّ فى حلّ من عمل جميع الأشياء التى كانت محظورة عليه طوال فترة الحج.

(١) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٢٢٣.

وهذه إحدى الآثار الطيّبة فى تربية المسلمين على الصبر، والتمسك بآداب الإسلام.

حكمة طواف الوداع: إن المسلم إذا أدّى حجه، وانتهى من جميع المناسك، وعزم على الرحيل، شُرع له أن يطوف بالبيت مودعًا له.

وهذا مظهر من مظاهر الحبّ، والإجلال، والتقدير.

والمقصود من كلّ هذا هو تقدير وتعظيم ربّ هذا البيت الذى شرع الطواف ببيته الحرام.

والامتثال لأوامر الله تعالى هو النتيجة المرجوّة من أثر العبادات فى تربية المسلم على طاعة الله.

رابعًا: **الحكمة من استلام الحجر الأسود:**

يعتبر الحجر الأسود من الأشياء التى اختص الله بها البيت الحرام على سائر الأمكنة.

وقد روى أن نبيّ الله «إبراهيم» - عليه السلام - لما انتهى فى البناء إلى مكان الحجر الأسود قال لولده «إسماعيل» - عليه السلام -: ائتنى بحجر أجعله علامة لابتداء الطواف، فخرج وجاء بحجر، فقال: ائتنى بغيره، فأتاه بحجر آخر، فقال ائتنى بغيره، فأتاه بثالث فألقاه، وقال: جاءنى بحجر مَنْ أغنانى عن حجرك، فرأى الحجر فى موضعه[١].

وممّا يؤيد هذه الرواية ما رواه ابن عباس عن النبى ﷺ حيث قال: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشدّ بياضا من اللّبن فسوّدته خطايا بنى آدم» اهـ[٢].

ولعلّ الحكمة من استلام الحجر، ما أشار إليها الحديث الذى رواه ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ حيث قال فى الحجر: «والله ليبعثه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحقّ» اهـ[٣].

(١) انظر: العبادات الإسلامية/٢٢٥.
(٢) رواه الترمذى وحسّنه، انظر: التاج (١٢٩/٢).
(٣) رواه الترمذى وحسّنه، انظر: المصدر السابق.

وقد ورد أن النبى ﷺ كان يقبّله، يرشد إلى ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبّله وقال: إنى أعلمْ أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنى رأيت النبى ﷺ يقبلك ما قبلتك. . . اهـ[١].

إذًا فتقبيل الحجر يعتبر نوعا من أنواع التربية الإسلامية، إذْ فيه ترويض للنفس على طاعة الله تعالى، وإلزام لها على تنفيذ أوامر الشرع الشريف.

خامسًا: حكمة الرَّمَل فى الطّواف:

لعلّ الحكمة من الرّمَل هى التى أشار إليها ابن عباس - رضى الله عنهما - حيث قال: قدم النبى ﷺ وأصحابه، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفْدٌ وهنتهم حُمّى يثرب، فأمرهم النبىّ ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم.

وزاد فى رواية: فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحُمّى وهنتهم إنهم أجلد من كذا وكذا.

وممّا هو معروف أن الرَّمَل نوع من المشى السريع.

من هذا يتبيّن أن الرّمل لعله يكون سببًا فى تقوية جسم المسلم.

سادسًا: حكمة السعى بين الصفا والمروة:

لعلّ الحكمة فى مشروعية السعى بين الصفا والمروة أن «هاجر» أمّ نبىّ الله «إسماعيل» - عليه السلام - حينما تركها زوجها نبىّ الله «إبراهيم» خليل الرحمن - عليه السلام - فى هذا المكان وكان معها ولدها «إسماعيل»، وهو لم يزل طفلا صغيرًا، وقد أعوزها الماء، فقامت تسعى فى طلب الماء ضارعة إلى الله تعالى أن يهديها إلى الماء لتروى به ظمأها، وظمأ طفلها، فكانت تتردّد فى سعيها بين الصفا والمروة حتى أذن الله تعالى، وتفجرت الأرض عن بئر زمزم.

فإذا سعى الحاجّ بين الصفا والمروة فإنه فى هذه الحالة يكون متشبهًا «بهاجر» فى طلب الرحمة، والمعونة من الله تعالى.

---

(١) رواه الترمذى وحسّنه، انظر: التاج (٢/١٢٩).

كما أنّ الساعى بين الصفا والمروة يطلب من الله تعالى أن ينقذه من مخاطر العوز والاحتياج، وأن يرحمه برحمته الواسعة، كما رحم «هاجر وابنها» بماء زمزم.

وفى هذا تربية لنفس المسلم، وترويض لها على الالتجاء إلى الله تعالى فى كل الأحوال، وبخاصّة فى حالات الشدّة.

سابعًا: حكمة رمى الجمرات:

لعلّ الحكمة فى ذلك ترجع إلى الاقتداء بنبىّ الله «إبراهيم» - عليه السلام -، يوضح ذلك الحديث الآتى: فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - رفعه إلى النبىّ ﷺ قال: «لما أتى «إبراهيم» خليل الله - صلوات الله عليه وسلامه - المناسك[١] عرض له الشيطان عند جمرة العقبة[٢] فرماه بسبْع حصيات، حتى ساخ فى الأرض[٣]، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبْع حصيات، حتى ساخ فى الأرض.

قال ابن عبّاس - رضى الله عنهما - : الشيطان ترجمون[٤] وملّة أبيكم إبراهيم تتّبعون. . . اهـ[٥].

فإن قيل: ما أثر رمى الجمار فى تربية نفس المسلم؟

أقول: إنّ الأثر فى ذلك واضح كل الوضوح، وهو أن يعوِّد المسلم نفسه على أنه كلما وقعت له وسوسة من الشيطان أن يرجم ذلك اللعين ويقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، امتثالا لقول الله تعالى:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصّلت:٣٦].

(١) جمع منسك: وهو مكان النسك الذى يُؤَدّى عنده أعمال الحج وشعائره.
(٢) وهى: الجمرة الكبرى.
(٣) ساخ فى الأرض: أى غاض وغاب فيها.
(٤) وهذا بيان واضح للحكمة من الرجم، أى أن الحاجّ حين يرمى الجمار إنما يقصد بذلك رمى الشيطان، وإبعاده من طريقه حتى لا يعوقه فى سيره إلى عبادة الله تعالى.
(٥) رواه ابن خزيمة، والحاكم، وقال: صحيح، انظر: الترغيب (٢/ ٢٤٢).

هـ - فضائل الحج:

من يقرأ السّنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث التى تحثّ على الحجّ وتبيّن فضله، أقتبس منها ما يلى:

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: «سُئِل رسول الله ﷺ: أىّ العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثمّ ماذا؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حجّ مبرور» اهـ[١].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حجّ فلم يرفث[٢]، ولم يفسق رجع من ذنوبه كيومْ ولدته أمّه»اهـ[٣].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفّارة لما بينهما، والحجّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنّة»اهـ[٤].

وعن ابن شمَّاسَة - رضى الله عنه - قال: حَضَرْنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت فبكى طويلا، وقال: فلمّا جعل الله الإسلامَ فى قلبى أتيت النبىّ ﷺ فقلتُ يا رسول الله: ابْسُط يمينك لأبايعك، فبسط يده فقبضت يدى، فقال: «مالَكَ يا عمرو»؟ قال: أردتُ أن أشترط، قال: «تشترط ماذا؟» قال: أن يُغْفر لى، قال: «أما علمتَ يا عمرو أن الإسلام يهْدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهْدم ما كان قبلها، وأن الحجّ يهْدم ما كان قبله»اهـ[٥].

وعن جابر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «الحجّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنّة، قيل: وما برّه؟ قال: «إطعام الطعام، وطيب الكلام»اهـ[٦].

والله أعلم

---

(١) رواه الشيخان، انظر: الترغيب ج٢/ ٢٥٦.
(٢) الرفث: هو الفحش فى الكلام، وكلّ ما يتعلق بالجماع.
(٣) رواه الشيخان، والنسائى، وابن ماجه، انظر: الترغيب ج٢/ ٢٥٨.
(٤) رواه الشيخان، والنسائى، وابن ماجه، انظر: الترغيب ج٢/ ٢٥٩.
(٥) رواه ابن خزيمة فى صحيحه هكذا، ورواه مسلم، انظر: المصدر السابق.
(٦) رواه أحمد، والطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن، انظر: الترغيب ج٢/ ٢٦٤.

الباب الثاني

أثر عمل الطاعات
في تربية المسلمين والمسلمات

وفيه سبعة عشر مبحثاً:

الأول: الإخلاص لله تعالى وأثره.

الثاني: أثر إنظار المعسر.

الثالث: أثر الإيمان بالقضاء والقدر.

الرابع: أثر التضرع والخشوع لله تعالى.

الخامس: أثر تقوى الله تعالى.

السادس: أثر التوبة النصوح.

السابع: أثر حسن الخلق.

الثامن: أثر الحلم.

التاسع: أثر الحياء.

العاشر: أثر الدعاء.

الحادي عشر: أثر ذكر الله تعالى.

الثاني عشر: أثر ستر عورة المسلم.

الثالث عشر: أثر شكر صاحب الجميل.

الرابع عشر: أثر الصدق.

الخامس عشر: أثر عدم إفشاء السر.

السادس عشر: أثر قراءة «القرآن».

السابع عشر: أثر الوفاء بالعهد.

الباب الثانى
أثر عمل الطاعات فى تربية المسلمين والمسلمات

ضمنت هذا الباب سبعة عشر مبحثا ورتبت هذه المباحث حسب حروف الهجاء ليسهل الرجوع إليها:

المبحث الأول : الإخلاص لله تعالى وأثره فى تربية المسلمين والمسلمات

أعمال الطاعات التى تقرّب من الله تعالى كثيرة، وكلّها تكون سببًا فى درجة القرب من الله تعالى؛ ليفوز المسلم بجنة عرضها السموات والأرض، أعدّها الله تعالى لعباده المتقين المخلصين.

كما أن كل أعمال الطاعات تربّى المسلم على الأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة.

ولو أردتُ استقصاء كلّ أعمال الطاعات لطال الكلام، ولذا استخرت الله تعالى وجعلت حديثى مقصورًا على بعضها.

وإنى أرجو من كل مسلم، ومسلمة أن يقرأ هذه المباحث التى أقدمها له بإنعام فكر، وتدبّر، ويحاول أن يروض نفسه ويربيها على كل ما يرضى الله تعالى؛ ليفوز مع الفائزين، يوم يقوم الناس لربّ العالمين، وتجزى كل نفس بما كسبت، ويقال لكل إنسان: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

وأستعين بالله تعالى فأقول وبالله التوفيق:

الإخلاص هو روح العبادة، والإخلاص من الأسباب الرئيسية فى قبول الأعمال.

ومن يتتبع التعاليم التى جاء بها الإسلام يجدها تحرص كل الحرص على أن يكون الإنسان مخلصًا لله تعالى فى كل شىء.

ومن ينعم النظر فى المعانى التى تدلّ عليها مادّة أخلص فى القرآن الكريم يجدها تهدف إلى تأمين عقيدة المسلم من الانحراف، والإلحاد، والشرك، والنفاق.

وتربّيه على الإخلاص لله رب العالمين وعلى سبيل المثال نجد بعض الآيات فيها أمر من الله تعالى إلى نبيه «محمد» ﷺ - وهو أفضل الخلق، والمعصوم من الخطأ - بالإخلاص له فى العبادة، ليتأسى به - عليه الصلاة والسلام - جميع المسلمين عملا بقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

نرى ذلك واضحًا فى قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وفى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

وفى قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].

كما نلحظ أن بعض آيات القرآن تأمر بالإخلاص لله تعالى فى الدعاء؛ لأنه مخّ العبادة، يتمثّل ذلك فى قوله تعالى:

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

ومن أهم الأدلّة على أن الإسلام اهتمّ بتربية المسلم على الإخلاص لله تعالى: أن بعض آيات القرآن تنصّ صراحة على أنه لا سبيل للشيطان على عباد الله المخلصين.

يتضح ذلك جليًا فى قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠].

وفى قوله تعالى:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

وإذا ما اتّجهنا إلى السنّة المطهّرة المصدر الثانى فى التشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم نجد أنّ تعاليم الهادى البشير ﷺ تهدف دائما إلى تأمين عقيدة المسلم لتكون صحيحة، وتحثّه على الإخلاص لله تعالى، يتضح ذلك فى القضايا الأساسية الآتية:

القضية الأولى:

إن من فارق الدنيا على الإخلاص لله تعالى فارقها والله عنه راض، يشير إلى ذلك الحديث التالى:

فعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فارقها والله عنه راض»اهـ[١].

وهنيئًا لمن رضى الله عنه فإنه سيفوز بسعادة الدارين.

القضية الثانية:

من وصايا الهادى البشير ﷺ: الإخلاص مع قلّة العمل من أفضل الأشياء، يوضح ذلك الحديث التالى: فعن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - أنه قال حين بُعِثَ إلى اليمن: يا رسول الله أوصنى، قال: «أخلص دينك يكفيك العمل القليل»[٢].

القضية الثالثة:

الإخلاص شفاء لأمراض القلوب، يرشد إلى ذلك الحديث التالى:

فعن أبى سعيد الخدرىّ - رضى الله عنه - أنّ النبى ﷺ قال فى حجّة الوداع: «نضّر الله امْرأ سمع مقالتى فوعاها، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يَغلّ قلب امرئ مؤمن[٣]: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعاءهم محيط من ورائهم»اهـ[٤].

القضية الرابعة:

من الأسباب الظاهرة فى نصر الأمّة الإسلامية: الإخلاص لله تعالى، يوضح ذلك الحديث التالى:

(١) رواه ابن ماجه، والحاكم، انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٣٣).
(٢) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٣٤).
(٣) المعنى: هذه الخصال الثلاث تُستَصْلح بها القلوب.
(٤) رواه البزار بإسناد حسن، انظر: المصدر السابق.

فعن مُصْعب بن سعد عن أبيه - رضى الله عنه - أنّه ظنّ أنّ له فضلا على مَنْ دونه مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ، فقال النبى - عليه الصلاة والسلام -: «إنّما ينصرُ اللهُ هذه الأمّة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم»اهـ[١].

القضية الخامسة:

لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصًا له وحده، يوضّح ذلك الحديث التالى:

فعن الضحّاك بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله - تبارك وتعالى - يقول: «أنا خير شريك، فمن أشرك معى شريكًا فهو لشريكى، يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم؛ فإن الله - تبارك وتعالى - لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له، ولا تقولوا هذه لله وللرّحم، فإنها للرّحم، وليس لله منها شىء، ولا تقولوا هذه لله ولوجوهكم، فإنها لوجوهكم، وليس لله منها شىء»اهـ[٢].

مما تقدم تبيّن أهميّة الإخلاص لله تعالى، ويجب على كل مسلم ومسلمة أن يربّى نفسه على الإخلاص لله تعالى، وأن يلتزم دائمًا فى كلّ معتقداته، وسائر أعماله بالإخلاص لله ربّ العالمين؛ ليكون ممّن قال الله فيهم:

﴿إلاَّ الَّذينَ تابُوا وَأَصلَحُوا واعْتَصَمُوا باللَّه وَأَخْلَصُوا دينَهُمْ للَّه فَأُولَئكَ مَعَ الْمُؤْمنينَ وَسَوْفَ يُؤْت اللَّهُ الْمُؤْمنينَ أَجْرًا عَظيمًا﴾ [النساء:١٤٦].

والله أعلم

(١) رواه النسائى، وغيره، انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٣٥).
(٢) رواه البزّار، والبيهقى، انظر: المصدر السابق.

المبحث الثانى أثر إنظار المعسر فى تربية المسلمين والمسلمات

من الآداب الإسلاميّة الجليلة التى جاء بها الإسلام: التيسير على المعْسر، وإنظاره.

ومَنْ يلتزم بهذه الآداب، ويعمل بهذه التعاليم، ويربّى نفسه على التمسك بهذه الأخلاق الفاضلة فإنه سيرقّ قلبه، ويمتلئ بالحبّ، والعطف، والحنان، على المسلمين وفى مقدمتهم المعسرون المحتاجون.

وحينئذ يصبح إنسانًا محبوبًا عند الله تعالى قبل كل شىء، ثم عند عامّة المسلمين.

ونظرًا لأهمية التيسير على المعْسر، وإنظاره فى الشريعة الإسلامية فقد جاءت تعاليم الهادى البشير ﷺ بالحثّ على ذلك، بل اعتبر الدين الإسلامى، أن كلّ قرض بمثابة الصدقة، يوضّح كلّ ذلك الأحاديث الآتية:

فعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال:

«ما مِنْ مسْلم يقرض مسلمًا قرضا مرّة إلا كان كصدقتها مرّتين» اهـ[1].

وعن أبى أمامة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «دخل رجل الجنة فرأى مكتوبًا على بابها: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر»اهـ[2].

وإذا كانت تعاليم الإسلام رغّبت فى القرض تعاطفًا مع المحتاجين، فإنها فى الوقت نفسه حثّت على التيسير على المدين، إذا كان فى حالة عُسْر، ولم يتمكّن من سداد دينه وفقًا للشروط المتفق عليها، إذْ فى ذلك تربية للمسلمين والمسلمات على لين الجانب، والشعور بحاجة المحتاجين، وهذا ما تقتضيه الأخوة الإسلاميّة وفى هذا يقول الله تعالى:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]

كما جاءت السنة المطهرة حافلة بالأحاديث فى هذا المقام:

---

(١) رواه ابن ماجه، وابن حبّان، والبيهقى، انظر: الترغيب (٢/ ٥٢).

(٢) رواه الطبرانى، والبيهقى، انظر: الترغيب (٢/ ٥٠).

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «إنّ رجلا لم يعمل خيرًا قط، وكان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسّر، واترك ما عَسُر، وتجاوز لعلّ الله يتجاوز عنّا، فلمّا هلك قال الله له: هل عملْتَ خيرًا قط؟ قال: «لا»، إلا أنه كان لى غلام وكنتُ أداين الناس فإذا بعثتُه يتقاضى قلتُ له: خذ ما تيسّر، واترك ما عَسُر، وتجاوز لعلّ الله يتجاوز عنا، قال الله تعالى: قد تجاوزت عنك»اهـ[١].

ومن الأدلّة الواضحة على أن تعاليم الإسلام ترغب فى إنظار المعْسر أن النبى ﷺ أخبر بأن من أنظر معسرًا كان له بكل يوم مثل الدَّيْن صدقة، يوضح ذلك الحديث التالى:

عن بريدة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر معسرًا فله كل يوم مثله صدقة»، ثم سمعته يقول: «من أنظر معسرًا فله كل يوم مثليه صدقة» قلت: يا رسول الله سمعتُك تقول: من أنظر معسرًا فله كل يوم مثله صدقة، ثم سمعتك تقول: من أنظر معسرًا فله كل يوم مثليه صدقة؟

قال: «له كل يوم مثله صدقة قبل أن يحلّ الدَّيْن، فإذا حلّ فأنظره فله بكل يوم مثليه صدقة»اهـ[٢].

كما أخبر الهادى البشير ﷺ بأن من أنظر معسرًا أظلّه الله يوم القيامة تحت ظلّ عرشه، يدل على ذلك الحديث التالى:

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من أنظر معسرًا، أوْ وضع له أظلّه الله يوم القيامة تحت ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلا ظلّه»اهـ[٣].

كما أن تعاليم الإسلام تفيد بأن من أراد أن تُسْتجاب دعوته فلينظر المعسرين، يوضح ذلك الحديث التالى:

(١) رواه النسائى، انظر: الترغيب والترهيب (٢/ ٥٧).
(٢) رواه الحاكم بسند صحيح انظر: الترغيب (٢/ ٥٨).
(٣) رواه الترمذى، وقال: حسن صحيح، انظر: الترغيب (٢/ ٥٩).

فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «من أراد أن تُستجاب دعوته، وأن تكشف كربته فليفرّج عن معسر»اهـ[١].

كما أخبر الهادى البشير ﷺ بأنّ مَنْ يسَّر على معْسر وقاه الله من فيح جهنم، يشير إلى ذلك الحديث التالى:

فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وهو يقول: «أيّكم يسره أن يقيه الله - عزّ وجلّ - من فيح جهنم؟» قلنا: يا رسول الله كلنا يسرّه، قال: «من أنظر معسرًا، أوْ وضع له وقاه الله - عزّ وجلّ - من فيح جهنّم»اهـ[٢].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر فى الدنيا يسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه»اهـ[٣].

والله أعلم

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا، انظر: الترغيب (٢/ ٦١).
(٢) رواه ابن أبى الدنيا، انظر: الترغيب (٢/ ٦٢).
(٣) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، انظر: الترغيب (٢/ ٥٨).

المبحث الثالث أثر الإيمان بالقضاء والقدر فى تربية المسلمين والمسلمات

مما هو مشاهد ومعروف أن للإيمان بالقضاء والقدر أهميّة عظيمة، وهى أن لا يتسرب إلى قلوب المؤمنين بالقضاء والقدر: الأمراض النفسيّة، التى تفتك بالكثير من ضعاف الإيمان بالقضاء والقدر، هذه الأمراض التى يترتب عليها الكثير من الأخطار مثل: اليأس، والقنوط، والكثير من الأمراض الجثمانية، ثم الانتحار.

ولخطورة الأمراض النفسيّة فقد أصبح هناك أطباء متخصّصون فى معالجة هذه الأمراض التى تفشّت بين الناس.

وأقول لهؤلاء: لو ربّوا أنفسهم على الإيمان بالقضاء والقدر، لسلموا من هذه الأمراض، ولعاشوا حياة مليئة بالسعادة، والبهجة، والفرح، والسرور.

ونظرًا لأهمية الإيمان بالقضاء والقدر فى حياة كل إنسان فقد جاءت السنة المطهّرة حافلة بالأحاديث التى تبيّن وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، أقتبس منها ما يلى: فعن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أن النبىّ ﷺ قال:

«لا يؤمن عبد مؤمن حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأنّى رسول الله، بعثنى بالحقّ، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر»[١].

وعن أنس بن مالك (ت٩١هـ - رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال: «ثلاث من أصل الإيمان: الكفّ عمّن قال: لا إله إلا الله ولا نكفّره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر هذه الأمّة الدجّال لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالقدر»اهـ[٢].

وعن عبد الله بن مسعود (ت٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمّه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم ينفخ فيه الروح،

(١) رواه الترمذى، انظر: التاج (١/ ٣٩).

(٢) رواه أبو داود، انظر: التاج (١/ ٣٨).

ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقىّ أو سعيد، فوالله الذى لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتّى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنّة فيدخلها»اهـ[١].

وقال عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - لابنه: يا بنىّ إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ أوّل ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فقال: يا ربّ وماذا أكتب؟ فقال: اكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة». يا بنىّ إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ مات على غير هذا فليس منّى» اهـ[٢].

والله أعلم

(١) رواه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، انظر: التاج. (١/ ٣٨).
(٢) رواه أبو داود، والترمذى، انظر: التاج (١/ ٣٨-٣٩).

المبحث الرابع أثر التضرع والخشوع لله تعالى فى تربية المسلمين والمسلمات

ممّا هو جلّى لدى أهل المعرفة أن التضرّع والخشوع لله تعالى هما ثمرة الإيمان بالله تعالى، ونتيجة اليقين الحاصل فى قلب المسلم بعظمة الله تعالى.

فمن رُزق الإيمان، واليقين التامّ، كان خاشعًا لله، خاضعًا لعظمته فى جميع أحواله، وسائر أنواع الطاعات، والقربات.

وإنى أتمنى من كل مسلم ومسلمة أن يروض نفسه ويربيها على التضرّع والخشوع لله تعالى ليفوز بسعادة الدارين.

ومن يقرأ القرآن الكريم يجد هناك الكثير من الآيات التى تطلب من المسلم أن يتضرّع إلى الله تعالى؛ فمن ذلك قوله تعالى:

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾

[الأعراف: ٢٠٥-٢٠٦].

فهاتان الآيتان تضمنتا الأمر بذكر الله بصفة عامّة، أوّل النهار وآخره، وبناء عليه يجب أن يظلّ القلب موصولا بالله تعالى على الدوام وبدون انقطاع.

وذكر الله تعالى ينبغى أن لا يكون مقصوراً على وقت معيّن من ليل أو نهار، بل يجب أن يكون القلب عامراً دائمًا بجلال الله تعالى.

ولكنّ هذين الوقتين: أوّل النهار وآخره بصفة خاصّة نجد أن النفس الإنسانية تطالع التجديد الواضح فى صفة الكون من ليل إلى نهار، ويتّصل فيهما القلب العامر بنور الإسلام بالوجود حوله، وهو يرى عظمة الله وقدرته تكوّر الليل على النهار، وتكوّر النهار على الليل. على أن ذكر الله تعالى ينبغى أن يكون بين التضرع والخوف، وبين الرغبة والرهبة.

إنه التوجه إلى الله بالتذلّل والضراعة، وبالخشية والتقوى، إنه استحضار الرجاء فيه والالتجاء إليه، حتى يصفو الجوهر الروحى فى الإنسان، ويظلّ القلب خاشعًا لجلال الله.

وإذا كان الذكر بالقلب واللسان معًا فليكن ذلك فى صوت خفيف خفىّ، لا نداء فيه، ولا جهرًا بالقول، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وحينما سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ قائلاً: أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ نزل قوله - عزّ وجلّ -:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦].

وقد أثنى الله تعالى على نبيه «زكريا» - عليه السلام -، ومدحه حينما دعاه بصوت خفىّ، قال تعالى:

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [مريم:٢-٣].

وقال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

فعلى كل مسلم يريد القرب من الله تعالى أن يلازم التضرّع والخشوع لله تعالى، عندئذ سيفتح الله عليه أبواب رحمته، وسيفوز بجنة عرضها السموات والأرض أعدّت للمتقين.

وقال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحج:٣٤-٣٥].

المعنى: مما هو جلىّ أن الآية الأولى تضمنت معنى ساميًا وهو زفّ البشرى للمخبتين، والبشارة لا تكون إلا عن أمر سارّ يبعث فى النفس البهجة، والفرح، والسرور، ولمّا نزلت هذه البشارة كأنّ النفس البشريّة تطلّعت إلى الوقوف على معرفة أوصاف هؤلاء المخبتين الذين فازوا بهذه السعادة العظيمة، فأجابهم الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، وأنزل على حبيبه ﷺ الآية التى فيها أوصاف المخبتين فقال:

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال: ٢-٣].

فالمخبتون هم الخاشعون المتواضعون لله تعالى، ومن أوصافهم أنهم إذا ذكر اسم الله تعالى أمامهم خافت قلوبهم من عظمة الله تعالى، وتذكّروا قوله:

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

عندئذ تتأدّب الجوارح، ويحصل فى القلب الخشوع والخضوع لقيّوم السموات والأرضين، فلا يخطو المسلم خطوة، ولا يتحرك حركة فى ليل أو نهار إلا وهو موقن بأن الله تعالى مطلع عليه، حينئذ يفيض قلبه بالتقوى، فيفوز بما ورد فى قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]

والصفة الثانية من صفات المخبتين ذكرها الله تعالى فى قوله:

﴿ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ ﴾ أى المتصلون بالله تعالى: الذين من سجيتهم وطبيعتهم تفويض جميع الأمور لله تعالى، ويتقبّلون الأمر الذى فى ظاهره أنه مصيبة حسب المقاييس البشرية بالصبر الجميل؛ لأنهم يعلمون الفضلَ العظيم الذى ادّخره الله لعباده الصابرين حيث قال:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

أمّا الصفة الثالثة من صفات المخبتين لله تعالى: فهى المحافظة على الصلوات الخمس بشروطها، وآدابها، وأدائها فى أوقاتها بخشوع وتضرّع إلى الله تعالى، لأنهم يعلمون قول الله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

والصفة الرابعة والأخيرة من صفات المخبتين: هى الإنفاق بطيب نفس من رزق الله تعالى؛ لأنهم يعلمون الثواب الجزيل الذى أعدّه الله للمتصدّقين، يتجلّى ذلك فى قوله تعالى:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١-٢٦٢].

فالمتصفون بهذه الصفات الأربع هم المخبتون المتصلون بالله تعالى.

فعليك أخى المسلم بالتحلّى بهذه الصفات؛ حتى تكون ممّن قال الله فيهم:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

والله أعلم

المبحث الخامس أثر تقوى الله تعالى فى تربية المسلمين والمسلمات

تقوى الله تعالى من أهم الصفات التى يجب أن يتحلّى بها كل مسلم ومسلمة؛ إذ فى ذلك السعادة فى الدنيا والآخرة، وهذا ما سأجلّيه - إن شاء الله تعالى - أثناء الحديث عن هذا المبحث الهام.

ورجائى من كل مسلم ومسلمة أن يروّض نفسه، ويربّيها على تقوى الله تعالى؛ ليفوز مع الفائزين.

والتقوى: أصلها من الوقاية، وهى حفظ الشىء ممَّا يؤذيه.

والتقوى فى عرف الشرع: هى حفظ النفس عمّا يُؤثّم. وذلك بترك المحظورات، وتفريغ القلب لعبادة الله تعالى، فإذا ما وصل الإنسان إلى هذه الحالة ملأ الله قلبه غنًى، ورزقه من الحلال من حيث لا يحتسب، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وعن مَعْقل بن يسار - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «يقول ربكم: يا بن آدم تفرّغ لعبادتى أملأ قلبك غنًى، وأملأ يدك رزقا، يا بن آدم لا تَبَاعَدْ منّى أملأ قلبك فقرا، وأملأ يدك شُغلاً» اهـ[(١)].

وتقوى الله تعالى تستلزم تفريغ القلب من هموم الدنيا، والالتجاء إلى الله تعالى، فمن كان كذلك جعل الله غناه فى قلبه، يوضّح ذلك الحديثان التاليان:

فعن أبى الدرداء - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «تفرّغوا من هموم الدنيا ما استطعتم، فإنه مَنْ كانت الدنيا أكبر همّه أفشى الله ضَيْعَه[(٢)]، وجعل فقره بين عينيه، ومن كانت الآخرة أكبر همّه جمع الله - عزّ وجلّ - له أموره، وجعل

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، انظر: الترغيب (٤/ ٢٠١).

(٢) أى أكثر حاجته، ومطالبه، ونشرها بين الناس فلا يستطيع لها طلبًا.

غناه فى قلبه، وما أقبل عبد بقلبه إلى الله - عزّ وجلّ - إلا جعل الله قلوبَ المؤمنين تفد إليه بالودّ، والرحمة، وكان الله - عزّ وجلّ - إليه بكل خير أسرع»(١).

يؤيّد هذا الحديث فى المعنى الحديث التالى: فعن زيد بن ثابت - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كانت الدنيا همَّه فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى راغمة» اهـ(٢).

ومن الأدلّة الواضحة أيضًا على أهميّة التقوى أن نبينا «محمدًا» ﷺ مع أنه أتقى عباد الله، وأفضل عباد الله، كان ضمن دعائه - عليه الصلاة والسلام - أن يرزقه الله التقوى، يشير إلى ذلك الحديث التالى: فعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ كان يقول: «اللهم إنى أسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى» اهـ(٣).

وتقوى الله تعالى فيها الفوز بسعادة الدنيا والآخرة، يشير إلى ذلك الحديث التالى: فعن أبى أمامة الباهلىّ - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب فى حجة الوداع فقال: «اتقوا الله، وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم، وأطيعوا أمراءكم، تدخلون جنة ربكم»اهـ(٤).

وعن البراء بن عازب - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم إنى أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك، وفوّضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت، وبنبيك الذى أرسلت، فإنك إن متّ من ليلتك متّ على الفطرة، وإن أصبحت أصبحت خيرًا»اهـ(٥).

وأختم هذا المبحث بقول الله تعالى:

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣].

(١) رواه الطبرانى فى الكبير، والأوسط، والبيهقى، انظر: الترغيب (٢/ ٢٠٦).
(٢) رواه مسلم، انظر: الترغيب (٢/ ٢٠٨).
(٣) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٤٧.
(٤) رواه الترمذى وقال: حسن صحيح، انظر: رياض الصالحين/ ٤٨.
(٥) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٥٢.

المبحث السادس أثر التوبة النصوح فى تربية المسلمين والمسلمات

وقد ضمنته الحديث عما يأتى:

أ - تعريف التوبة - أقسامها - شروط قبولها - حكمها شرعا.

ب - إلقاء الضوء على أن الشريعة الإسلامية جاءت بالحث على التوبة، ورغبت فيها.

جـ - الكشف على أن قبول التوبة له نهاية محدّدة، مع بيان حكمة الشارع من ذلك.

د - إلقاء الضوء على بعض الفوائد، والأجر العظيم الذى أعده الله للتائبين.

وهذا تفصيل الحديث عن هذه الأمور، وبالله التوفيق:

أ - تعريف التوبة - أقسامها - شروط قبولها - حكمها شرعًا:

التوبة: هى الندم عمّا فات، والعزم على الترك فيما هو آت.

والتوبة تنقسم قسمين: الأول: توبة مقبولة وهى التى تتحقق فيها الشروط الآتية:

١ - أن يقلع الإنسان عن فعل المعصية.

٢ - أن يندم الإنسان على فعل المعصية.

٣ - أن يعزم على أن لا يعود إلى المعصية أبدًا.

هذه الشروط الثلاثة فيما إذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى مثل: التقصير فى بعض ما أوجبه الله تعالى على الإنسان.

أمّا إن كانت المعصية تتعلق بآدمىّ فشروطها أربعة: الشروط الثلاثة المتقدمة:

والشرط الرابع: أن يبرأ من حقّ صاحبها، بمعنى إن كانت مالا، أو نحوه، ردّه إليه، وإن كانت حدّ قذف أو نحوه، مكّنه منه، أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحلّه منها.

والتوبة المقبولة المستوفية للشروط هى التوبة النّصوح، وهى المرادة بقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨].

وبقوله تعالى: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٧١].

والقسم الثانى من أقسام التوبة: التوبة غير المقبولة، وهى التى لم تستوف شروط التوبة المقبولة.

وأمّا عن حكم التوبة: فهى واجبة شرعًا بنصّ الكتاب، والسّنة، والإجماع. أمّا الكتاب فقول الله تعالى:

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

وأما السنّة: فعن الأغرّ بن يسار المُزَنىّ - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة»[١].

وأمّا الإجماع: فقد انعقد إجماع الأمّة الإسلامية على وجوب التوبة على كل مسلم قبل دُنُوّ أجله.

ب - إلقاء الضوء على أن الشريعة الإسلامية جاءت بالحثّ على التوبة، ورغبت فيها، مع بيان حكمة الشارع من ذلك:

مَنْ يقرأ القرآن الكريم والسنّة المطهرّة يجدهما حافلين بالنصوص الدالة على أهمية التوبة، والحثّ عليها: فمن القرآن قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [التحريم: ٨].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ومن السنة المطهرة الحديث الآتى: عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى

---

(١) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ١١-١٢.

شجرة فاضطجع فى ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدّة الفرح: اللهمّ أنت عبدى وأنا ربّك، أخطأ من شدّة الفرح»اهـ[1].

فهذه النصوص وغيرها تدلّ دلالة واضحة على فتح باب التوبة على مصراعيه لكل تائب حتى يكون المسلم على صلة بالله تعالى، شديد الخوف منه، عظيم الرجاء فيه، وبذلك يحظى بجنة عرضها السموات والأرض أعدها الله لعباده المتقين.

جـ - الكشف على أن قبول التوبة له نهاية محدّدة، مع بيان حكمة الشارع من ذلك:

من ينعم النظر فى الآيات القرآنية، والأحاديث النبويّة الواردة فى هذا الشأن يمكنه أن يقرر بأنه هناك حدّ معيّن لقبول التوبة، ويمكنني توضيح هذا الحدّ من واقع حال التائب، ووقت التوبة إلى نوعين:

الأول: حال من حضره الموت وشاهد أحواله.

الثاني: من اقترب من الموت بتعاظم الآلام، والمشاق، والشدائد التى يلقاها من يشعر بقرب موته.

فالأول: وهو من حضره الموت، وشاهد أحواله، فإن توبته غير مقبولة، يدلّ على ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

[المؤمنون: ٩٩-١٠٠]

فهذه الآيات وغيرها تبيّن أن التوبة لا يقبلها الله تعالى عند حضور أسباب الموت، مثل: الغرغرة، ومثل: إذا طلعت الشمس من مغربها يؤيد ذلك الحديثان التاليان:

(١) رواه الشيخان انظر: رياض الصالحين/ ١٢.

فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»اهـ(١).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»اهـ(٢).

فالله - سبحانه وتعالى - فتح باب التوبة لكلّ تائب قبل أن تبلغ الروح الحلقوم، وقبل أن تطلع الشمس من مغربها.

د - إلقاء الضوء على بعض الفوائد، والأجر العظيم الذى أعدّه الله للتائبين:

من ينعم الله عليه بفهم آيات كتابه، ويتذوق المعنى الدلالى لأحاديث نبيّنا «محمد» ﷺ الواردة فى التوبة، يجد من خلال ذلك الكثير من الفوائد الجليلة، أذكر منها ما يلى:

١ - التائبون يحبهم الله تعالى، وهنيئًا لمن يحبّه الرحمن الرحيم، فإنه سيفوز بسعادة الدنيا، والآخرة، يؤيد ذلك قول الله تعالى:

﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٢ - التائبون توبة صادقة وعدهم الله تعالى بأن يغفر لهم ذنوبهم، وتلك فائدة جليلة، والدليل على ذلك قوله تعالى:

﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ** ﴾ [طه: ٨٢].

٣ - التائبون توبة صادقة سيكرمهم الله تعالى، ويبدّل سيئاتهم حسنات، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الفرقان: ٧٠].

٤ - التائبون وعدهم الله تعالى بدخول الجنة، يؤيد ذلك قوله تعالى:

﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا** ﴾ [مريم: ٦٠].

---

(١) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن، انظر: رياض الصالحين/ ١٣.

(٢) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ١٣.

٥ - التائبون يستغفر لهم حملة عرش الرحمن - عزّ وجلّ -، ويطلبون من الله تعالى أن يدخلهم الجنة، ومن صلح من آبائهم، وأزواجهم، وذرياتهم، كما يسألون الله تعالى - أى حملة العرش - أن يحفظ التائبين من الوقوع فى السيئات، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر: ٧-٩].

٦ - من فوائد التوبة: أن التائب يقبله الله تعالى حتّى ولو مات عقب التوبة مباشرة، يدلّ على ذلك الحديث التالى: فعن أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قطّ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم - أى حكما - فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»اهـ[1].

وفى رواية فى الصحيح: «فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر، فجُعل من أهلها».

---

(١) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ١٥.

وفى رواية فى الصحيح: «فأوحى الله تعالى إلى هذه أنْ تباعدى، وإلى هذه أن تقرّبى، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبْر فغُفِر له».

وفى رواية: «فنأى بصدره نحوها».

ممّا تقدّم تبين الفضل العظيم، والأجر الكبير، الذى أعدّه الله للتائبين المخلصين فى توبتهم.

وإنى أرجو من كل مسلم ومسلمة أن يبادر بالتوبة قبل فوات الأوان.

ثم بعد توبته، ورجوعه إلى الله تعالى عليه أن يعقد العزم على عدم نقض توبته، ثم عليه بعد ذلك أن يربّى نفسه على طاعة الله تعالى؛ ليفوز مع الفائزين.

والله أعلم

المبحث السابع أثر حسن الخلق فى تربية المسلمين والمسلمات

إنّ حسن الخلق من الصفات الحسنة الحميدة التى أمر بها الدين الإسلامى الحنيف.

ومن يقرأ التاريخ يتبين له بجلاء ووضوح أن نبينا «محمدًا» ﷺ كان أحسن الناس خُلُقًا، وأطيبهم نفْسًا، وأطهرهم قلبًا، وألينهم طبعًا.

وأملى أن يتعوّد كل مسلم ومسلمة حسن الخلق، وأن يربّى كل واحد نفسه على هذه الصفة الكريمة، أسوة برسول الله ﷺ.

ونظرًا لأهمّية حسن الخلق فى الشريعة الإسلامية فقد أثنى الله تعالى على صفوته من خلقه، وخاتم رسله ﷺ بحسن الخلق، فقال - عزّ منْ قائل - فى محكم كتابه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ومن الأدلة الواردة فى الدلالة على حسن خلق الهادى البشير ﷺ الحديثان التاليان: فعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقًا... اهـ(١).

وعن أنس أيضًا قال: ما مسَسْتُ ديباجًا، ولا حريرًا ألين من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لى قطّ: أفّ، ولا قال لشىء فعلتُه: لم فعلتَه؟ ولا لشىء لم أفعله: ألا فعلتَ كذا؟... اهـ(٢).

ونظرًا لأهمية حسن الخلق فى تعاليم الإسلام، ولما له من الأثر الواضح فى تربية المسلمين، والمسلمات على الأخلاق الفاضلة، والعادات الكريمة، فقد جاءت السنّة المطهّرة حافلة بالأحاديث التى تحثّ على حسن الخلق، وتبيّن فضله، وهذا قبس منها: فعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ من أحبّكم إلىّ، وأقربكم منّى مجلسًا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا وإنّ من

(١) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٢٨٧.
(٢) متفق عليه، انظر: المصدر السابق.

أبغضكم إلىّ وأبعدكم منّى يوم القيامة: الثرثارون[(١)] والمتشدقون[(٢)] والمتفيهقون»، قالوا: يا رسول الله علمنا الثرثارون، والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»اهـ[(٣)].

المعنى: من ينعم النظر فى هذا الحديث الشريف يتبين له بجلاء، ووضوح أن حسن الخلق يبلغ بصاحبه مرتبة عظيمة هى حبّ الهادى البشير - عليه الصلاة والسلام -، وهنيئًا لمن أحبّه النبىّ ﷺ.

كما أنّ صاحب الخلق الحسن سيكون يوم القيامة فى درجة قريبة من سيّد الخلق - عليه أفضل الصلاة والسلام.

وإنّ سوء الخلق - والعياذ بالله تعالى - قد يبلغ بصاحبه نهاية وخيمة، هى بغض الرسول ﷺ له، والويل ثم الويل لمن تسبب فى أن يبغضه البشير النذير.

وعن أبى ذرّ - رضى الله عنه - قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اتّق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»اهـ[(٤)].

وعن أبى أمامة الباهلى - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«أنا زعيم ببيت فى ربض الجنّة لمن ترك المراء وإن كان محقّا، وببيت فى وسط الجنّة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحًا، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه» اهـ[(٥)].

المعنى: هذا الحديث الشريف يدلّ على أن الهادى البشير ﷺ تكفّل بثلاثة أمور:

الأول: ببيت حول الجنة؛ لأن معنى «الربض»: الناحية من الشىء، وما حول المدينة، وهذا البيت لمن ترك الجدال، وإن كان صاحب حق؛ لأن الجدال يجرّ إلى الشقاق.

---

(١) الثرثار: هو كثير الكلام تكلّفًا.

(٢) المتشدّق: المتطاول على الناس بكلامه.

(٣) رواه الترمذى، وقال: حسن صحيح، انظر: رياض الصالحين/ ٢٨٩.

(٤) رواه الترمذى، وقال: حسن صحيح، انظر: الترغيب (٣/ ٦٥٣).

(٥) رواه أبو داود بإسناد حسن، انظر: رياض الصالحين/ ٢٨٩.

الثانى: ببيت وسط الجنة، لمن ترك الكذب وإن كان مازحا.

الثالث: ببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه.

فانظر أخى المسلم إلى مرتبة حسن الخلق إنها فى أعلى المراتب.

ألا يعتبر ذلك حافزًا على التمسك دائمًا بحسن الخلق؟

وعن النواس بن سمعان - رضى الله عنه - قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر، والإثم، فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»اهـ[1].

وعن أبى الدرداء - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «ما مِنْ شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يُبْغِض الفاحش البذئ»اهـ[2].

المعنى: أخبر الهادى البشير ﷺ فى هذا الحديث الشريف بأنه ليس هناك شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق.

وذلك لأنه إذا اجتمع الإيمان وحسن الخُلُق فقد ظفر المسلم بالمرتبة العليا من الإيمان، ويؤيّد هذا الحديث فى المعنى الحديث التالى:

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدْخلُ الناسَ الجنة، فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»، وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «الفم، والفرج»اهـ[3].

حقّا: إن حسن الخلق درجة عظيمة، ومرتبة رفيعة؛ إذْ بحسن الخلق يبلغ المسلم أسمى الدرجات عند الله تعالى، وبحسن الخلق تثقل كفّة حسناته يوم القيامة.

---

(١) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٢٨٧.

(٢) رواه الترمذى، وقال: حسن صحيح، انظر: رياض الصالحين/ ٢٨٨.

(٣) المصدر السابق.

وبحسن الخلق يكون المسلم محبوبًا عند النبىّ ﷺ، وبحسن الخلق يبلغ المسلم درجة الصائم القائم.

ومع أن المبعوث رحمة للمؤمنين ﷺ كان أحسن الناس خلقًا، إلا أنه كان يتعوذ من سوء الخلق، ويسأل الله تعالى أن يحسّن خلقه، أى يزيد فى حسنه، يشير إلى ذلك الحديث التالى:

فعن «عائشة» أمّ المؤمنين -رضى الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمّ كما أحْسنت خلْقى فأحْسن خُلُقى»اهـ[١].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يقول:

«اللهمّ إنّى أعوذ بك من الشقاق - أى التخاصم - والنفاق، وسوء الأخلاق»اهـ[٢].

وعن أنس - رضى الله عنه - قال: قالت «أم حبيبة» أم المؤمنين -رضى الله عنها-: يا رسول الله المرأة يكون لها زوجان، ثم تموت فتدخل الجنّة هى وزوجاها، لأيّهما تكون، للأوّل، أو للآخر؟ قال: «تخيّر أحسنهما خُلُقًا كان معها فى الدنيا يكون زوجها فى الجنّة، يا أمّ حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»اهـ[٣].

المعنى: هذا سؤال فى غاية الأهمية الذى سألته «أمّ حبيبة» أمّ المؤمنين -رضى الله عنها - للرسول ﷺ حينما قالت له: يا رسول الله إن المرأة قد يكون لها زوجان فى الدنيا، بمعنى: أنها تزوجت بأحدهما فمات عنها، وبعد انقضاء عدّتها تزوجت بالرجل الثانى، ثم تموت هى، فتدخل الجنّة هى وزوجاها، لأيّهما تكون؟ فقال لها الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ: تخير بينهما، فأحسنهما خلقا فى الدنيا يكون زوجها فى الجنّة.

وأختم حديثى عن حسن الخلق بالحديث التالى: فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذه الأخلاق من الله تعالى، فمن أراد الله به خيرًا منحه خلقًا حسنًا، ومن أراد الله به سوءًا منحه خلقًا سيئًا» اهـ[٤].

(١) رواه أحمد، ورواته ثقات، انظر: الترغيب (٣/ ٦٥٣).
(٢) رواه أبو داود، والنسائى، انظر: الترغيب (٣/ ٦٥٨).
(٣) رواه الطبرانى، انظر: الترغيب (٣/ ٦٥٤).
(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط، انظر: الترغيب (٣/ ٦٥٦).

المبحث الثامن أثر الحلم فى تربية المسلمين والمسلمات

الحِلْم من أجمل الصفات التى يجب أن يتحلّى بها كل مسلم، وبالحِلْم يتغلّب الإنسان على الكثير من العقبات، ويفوز فى الكثير من المواقف وبخاصّة فى مقام المنازعات، وبالحلم ينجح الآباء، والأساتذة فى تربية الأبناء، وبالحلم يسود الإنسان ويصل إلى أرقى الدرجات، وبالحلم يكون الإنسان قريبًا من الناس، قريبًا من الله تعالى، ولا يتمكّن من الوصول إلى صفة الحلم إلا من شرح الله صدره للإسلام، ونوّره بنور القرآن.

لذلك فإنّى أرجو من المسلمين والمسلمات أن يتحلّى كلّ واحد منهم بصفة الحلم، وأن يربّى نفسه على هذه الصفة السامية الحميدة؛ ليفوز مع الفائزين.

ونظرًا لمكانة الحلم وأهميته فى تعاليم الإسلام فقد وصف الله به عباده المتقين فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

ولعظيم شأن الحلم فى تعاليم الإسلام فقد أمر الله به نبيه «محمدًا» ﷺ فقال - عزّ من قائل -: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

والحلم يزيل ما علق بالنفوس من عداوة وبغضاء، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥]

ولعظيم شأن الحلم وأهميته فى تعاليم الإسلام، فقد جاءت السنّة المطهّرة حافلة بالأحاديث التى تحثّ على الحلم وتبين فضله، وهذا قبس منها: فعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار، وتحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هيّن ليّن سهْل» اهـ[١].

(١) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن، انظر: الترغيب (٣/ ٦٦٣).

حقًّا: إنها لبشرى سارّة يزفهّا الرءوف الرحيم ﷺ لسائر المسلمين حيث قال: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار؟ تحرم على كل مَنْ وصف بالصفات التالية: أن يكون المسلم هيّنا ليّنا، هاشّا باشّا، سهْلا فى سلوكه، وجميع معاملاته مع كافّة الناس.

من هنا تتجلّى أهميّة الحلم فى منهج الإسلام، نظرًا لعظم فضله، وجزيل ثوابه عند الله تعالى.

لهذا نجد الهادى البشير ﷺ يخبر بأن من حُرِم الحلم فقد حُرِم خيرًا كثيرًا، يدلّ على ذلك الحديث التالى: فعن جرير بن عبد الله - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ يُحْرم الرفق يُحْرم الخير كله»اهـ[1].

ومن يقرأ سيرة سيّد الخلق يجده - عليه الصلاة والسلام - كان أحلم الناس، وأرأف الناس، وأرقّ الناس قَلْبا بسائر المسلمين، بل بسائر المخلوقات بما فى ذلك الحيوانات، يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وعن «عائشة» أم المؤمنين - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا عائشة ارفقى فإن الله إذا أراد بأهل البيت خيرًا أدخل عليهم الرفق»اهـ[2].

المعنى: هذا توجيه من المعلّم الأول فى تاريخ البشريّة كلها - عليه الصلاة والسلام - لأمّ المؤمنين «عائشة» - رضى الله عنها - الفقيهة، العالمة بهَدْى سيّد ولد عدنان، إذْ يأمرها بالرفق فى كل الأمور؛ لأن بيْت النبوّة هو المثل الأعلى، والقدوة الحسنة لجميع المسلمين على مرّ العصور، إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

وذلك لأن الحلم سبب فى كثرة الخير، واستقامة الأمر، وحسن معاش الأسرة.

وممّا جاء مؤيدًا لهذا الحديث فى المعنى الحديث التالى: فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن الرسول ﷺ قال: «ما أعطى أهل بيت الرفق إلا نفعهم» اهـ[3].

وعن «عائشة» أم المؤمنين - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله رفيق يحبّ الرفق فى الأمر كله» اهـ[4].

---

(١) رواه مسلم، انظر: الترغيب (٣/ ٦٥٩).
(٢) رواه أحمد، والبزار، انظر: الترغيب (٣/ ٦٦٠).
(٣) رواه الشيخان، انظر: الترغيب (٣/ ٦٦٢).
(٤) متفق عليه، انظر: الترغيب (٣/ ٦٥٩).

المبحث التاسع أثر الحياء فى تربية المسلمين والمسلمات

الحياء من الصفات الحسنة الكريمة، ومن الأخلاق الفاضلة الجليلة. والحياء: خُلُقٌ يبعث ويحثّ على ترك القبيح، ويمنع صاحبه من التقصير فى حقّ صاحب الحقّ. لذلك فإنى أرجو من كل مسلم ومسلمة أن يعوّد نفسه على الحياء، وأن يربيها على هذه الصفة الحميدة؛ ليفوز فى الدنيا والآخرة.

وممّا يدلّ على عظمة الحياء، وأنه من المنازل السامية الرفيعة، أن الصحابة - رضوان الله عليهم - وصفوا به سيّد الوجود ﷺ.

فعن أبى سعيد الخدرىّ - رضى الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ أشدّ حياء من العذراء فى خدْرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه فى وجهه... اهـ[1].

كما وُصفَ بالحياء الكثيرون من صحابة رسول الله ﷺ، أذكر منهم: عثمان ابن عفّان - رضى الله عنه - الذى وصفه النبىّ ﷺ بأنه رجل حيىّ، وأن الملائكة تستحيى منه، يشير إلى ذلك الحديث التالى: فعن «عائشة» أم المؤمنين - رضى الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعا فى بيتى كاشفًا عن ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدّث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدّث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه، فدخل فتحدّث، فلما خرج قالت «عائشة»: يا رسول الله دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله[2] ثم دخل عمر فلم تهتشّ له، ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلستَ وسوّيت ثيابك؟ فقال - عليه الصلاة والسلام -:

«ألا أستحيى من رجل يستحيى منه الملائكة»اهـ[3].

وعن أبى مجلز قال: قال أبو موسى الأشعرىّ - رضى الله عنه: إنى لأغتسل فى البيت المظلم فما أقيم صلبى حتى آخذ ثوبى حياء من ربى - عزّ وجلّ. اهـ[4].

(١) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٣٠٧.
(٢) فلم تهتش له: أى لم تنبسط معه.
(٣) رواه مسلم، انظر: التاج (٣/ ٣٢٧).
(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٦٠).

ولعظم شأن الحياء فى تعاليم الإسلام فقد جعله نبىّ الإسلام - عليه الصلاة والسلام - شعبة من شعب الإيمان، يشير إلى ذلك الحديث التالى:

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة[١] فأفضلها قول: «لا إله إلا الله» وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»اهـ[٢].

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ مرّ على رجل وهو يعظ أخاه فى الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «دعْه فإن الحياء من الإيمان»اهـ[٣].

فإن قيل: لماذا جعل الشارع الحياء من الإيمان؟ أقول: لأنه من الصفات الحميدة، ولا يتمثل بالحياء إنسان إلا هداه الله تعالى إلى الأمور التى تتفق وتعاليم الإسلام.

كما أنّ الحياء لا يجلب على الإنسان إلا الخير، يشير إلى ذلك الحديث التالى:

فعن عمران بن حصين - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«الحياء لا يأتى إلا بخير»اهـ[٤].

وفى رواية: «الحياء خير كلّه»اهـ[٥].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنّة، والبذاء من الجفاء، والجفاء فى النار»اهـ[٦].

حقّا: إنها لنهاية سعيدة لكل حَيِىّ إذا تمسّك بتعاليم الإسلام، فإن الله تعالى سيدخله الجنّة.

أمّا من حُرِم الحياء فقد حُرِم الخير الكثير؛ لأن البذاء: وهو الفحش فى الكلام، من الجفاء، والجفاء فى النار.

(١) البضع بكسر الباء: القطعة من الشىء، وفى العدد من ثلاثة إلى تسعة.
(٢) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٣٠٧.
(٣) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٣٠٦.
(٤) متفق عليه، انظر: المصدر السابق.
(٥) رواه مسلم، انظر: الترغيب/ ٦٣٦.
(٦) رواه أحمد، والبزّار، وقال حسن صحيح. انظر: المصدر السابق.

وإذا أراد الله أن يُهلك شخصا نزع منه الحياء يوضح ذلك الحديث التالى:
فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله - عزّ وجلّ - إذا أراد أن يُهْلِكَ عبدًا نزع منه الحياء لم تُلْفه إلا مَقِيتًا[١]، فإذا لم تُلْفه إلا مقيتا مُمَقَّتا نُزِعت منه الأمانة، فإذا نُزِعت منه الأمانة لم تلفه إلا خائنًا مُخوّنا، فإذا لم تُلْفه إلا خائفًا مُخوّنا نُزِعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلفه إلا رجيمًا مُلْعَنًا[٢] فإذا لم تلفه إلا رجيما مُلْعنا نزعت منه رِبْقة الإسلام»اهـ[٣].

المعنى: يستفاد من هذا الحديث الشريف: أن من حرم الحياء - والعياذ بالله تعالى - فقد حرم الخير كلّه، وحينئذ لا يُسْتبعد منه فعلُ كل شىء قبيح، أسأل الله السلامة إنه سميع مجيب.

والله أعلم

(١) تُلْفه: بمعنى تجده، ومعنى مقيتًا: أى مبغضًا.
(٢) رجيمًا: أى مرجومًا، واللّعن: الطرد من رحمة الله تعالى.
(٣) رواه ابن ماجه، انظر: الترغيب (٣/ ٦٤٠).

المبحث العاشر أثر الدعاء فى تربية المسلمين والمسلمات

الدّعاء: مخّ العبادة، وعماد الدين، ونور السموات، وسلاح المؤمن، يوضح ذلك الحديث التالى: فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض»اهـ[١].

إذًا فعلى كل مسلم ومسلمة أن يكثر من الدعاء، والتضرع إلى الله تعالى، وأن يربّى نفسه على الالتجاء إلى الله تعالى فى جميع الأوقات وبخاصة فى وقت الشدائد فهو أرحم الراحمين، ويجيب دعاء المضطرين.

وهناك أوقات مخصوصة يُسْتجاب فيها الدعاء، وآمل من كل مسلم ومسلمة أن يتحرّى هذه الأوقات، ويَرْفع فيها أكفّ الضراعة إلى الله تعالى ليستجاب له، من هذه الأوقات ما يلى:

أولا: **يوم الجمعة**: فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن وهو قائم يصلّى يسأل الله شيئًا إلا أعطاه، فأشار بيديه يقلّلها»اهـ[١] - [٢].

وعن أبى بُردَة بن أبى موسى الأشعرى قال: قال عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما -: أسَمعْتَ أباك يحدّث عن رسول الله ﷺ فى شأن ساعة الجمعة؟ قال: قلت: نعم سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«هى ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تُقْضى الصلاة»اهـ[٣].

ثانيًا: **ليلة القدر**: فعن «عائشة» أم المؤمنين - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «تحرّوا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان»اهـ[٤].

ثالثًا: **يوم عرفة**: فعن «عائشة» أم المؤمنين - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «ما منْ يوم أكثرُ من أن يعتق الله فيه عبيدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو يتجلّى، ثم يباهى بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟» اهـ[٥].

---

(١) أى يبيّن أنها لحظة خفيفة. (٢) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٤٦١.
(٣) رواه مسلم، انظر: المصدر السابق. (٤) رواه البخارى، انظر: رياض الصالحين/ ٤٦٩.
(٥) رواه مسلم، والنسائى، وابن ماجه، انظر: الترغيب (٢/ ٣٣٤).

رابعًا: بين الأذان والإقامة: فعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يردّ»اهـ[١].

خامسًا: عقب الأكل والشرب: فعن معاذ بن أنس - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «مَنْ أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منّى ولا قوّة، غُفر له ما تقدم من ذنبه»اهـ[٢].

سادسًا: أثناء السفر: فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»اهـ[٣].

ومن يقرأ القرآن الكريم، والسنّة المطهرة يجد الكثير من النصوص التى تحث على الدعاء وتبيّن فضله: فمن القرآن قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ومن السنة المطهرة الأحاديث الآتية: عن أبى سعيد الخدرىّ - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث:

١ - إمّا أن يعجّل له دعوته.

٢ - وإمّا أن يدّخرها له فى الآخرة.

٣ - وإمّا أن يصرف عنه من السوء مثلها».

قالوا: إذًا نكثر، قال: «الله أكثر»اهـ[٤].

---

(١) رواه أبو داود، والترمذى، والنسائى، انظر: الترغيب (١/ ٢٤٢).
(٢) رواه الترمذى، وأبو داود، بسند حسن. انظر: التاج (٣/ ١٢٦).
(٣) رواه أحمد، والبزار، والحاكم بسند صحيح، انظر: الترغيب (٢/ /١١٧).
(٤) رواه الترمذى، انظر: الترغيب باب الترهيب من دعاء الإنسان على وولده.

وعن سلمان - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حييّ كريم، يستحى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردّهما صفرًا خائبتين»اهـ[١].

وعن «عائشة» أم المؤمنين - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان - أى يتصارعان - إلى يوم القيامة»اهـ[٢].

والله أعلم

---

(١) رواه أبو داود، والترمذى، وابن ماجه، انظر: الترغيب (٢/ ٨٢٠).

(٢) رواه البزار، والحاكم وقال صحيح الإسناد، انظر: الترغيب (٢/ ٨٢١).

المبحث الحادى عشر
أثر ذكر الله تعالى فى تربية المسلمين والمسلمات

ذكر الله تعالى من أفضل القربات التى يتقرّب بها الإنسان إلى الله تعالى.

وهو من أعمال الطاعات التى يُثاب عليها الإنسان.

وهو من خير الأعمال، وأزكاها عند الله تعالى.

وإن أفضل ما أُعْطِى المسلم فى الدنيا أربعة: قلب شاكر، ولسان ذاكر، وبَدَنٌ على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه حَوْبا فى نفسها وماله.

وبذكر الله تعالى تطمئن القلوب، وتنشرح الصدور.

وإنى آمل من كل مسلم ومسلمة أن يُكثر من ذكر الله تعالى: فى الليل والنهار، فى الحضر والسفر، فى العشىّ والإبكار.

وأن يربّى نفسه على ذكر الله تعالى؛ ليفوز بجنة عرضها السموات والأرض أعدّها الله تعالى للمتقين الذاكرين له بالغدوّ والآصال.

وقد ورد فى الحثّ على الذكر، وبيان فضله الكثير من أحاديث الهادى البشير ﷺ، أقتبس منها ما يلى:

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، فى يوم مائة مرّة، كانت له عَدْلَ عَشْر رقاب[1]، وكُتبت له مائةُ حسنة، ومُحيت عنه مائةُ سيئة، وكانت له حِرْزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسى، ولم يأت أحدٌ بأفضلَ مما جاء به إلا رجل عَمِلَ أكثر منه».

وقال: «من قال: سبحان الله وبحمده، فى يوم مائة مرّة حُطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر»اهـ[2].

---

(١) عَدْل عَشْر رقاب: أى مثل ثواب إعتاق عشر رقاب.

(٢) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٥٣٣.

وعن أبى أيّوبَ الأنصاريّ - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال:

«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شىء قدير عشر مرّات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل» اهـ[١].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «منْ سبّح الله دُبُر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبَّر الله ثلاثًا وثلاثين، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، غُفِرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البَحْر» اهـ[٢].

وعن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مَثَل الحىّ والميت» اهـ[٣].

وعن جابر - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «مَنْ قال: سبحان الله وبحمده، غُرِست له نخْلةٌ فى الجنة»اهـ[٤].

وعن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال: قال لى رسول الله ﷺ: «ألا أدلّك على كنز من كنوز الجنة؟» فقلت بلى يا رسول الله قال:

«لا حول ولا قوّة إلا بالله»[٥].

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «لو أنّ أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهمّ جَنِّبْنا الشيطان، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا، فَقُضِى بينهما وَلَدٌ، لم يضُرُّه»اهـ[٦].

وعن حذيفة، وأبى ذرّ - رضى الله عنهما - قالا: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك اللهم أحْيا وأموت»، وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»اهـ[٧].

---

(١) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٥٣٤.
(٢) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٥٣٧.
(٣) رواه البخارى، انظر: رياض الصالحين/ ٥٤١.
(٤) رواه الترمذى وقال: حديث حسن، انظر: رياض الصالحين/ ٥٤٢.
(٥) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٥٤٤.
(٦) متفق عليه، انظر: المصدر السابق.
(٧) رواه البخارى، انظر: رياض الصالحين/ ٥٤٥.

المبحث الثاني عشر أثر ستر عورة المسلم فى تربية المسلمين والمسلمات

مَنْ ينعم النظر فى تعاليم الإسلام، ويقرؤها باطمئنان، يجدها جاءت بأنبل المقاصد، وأسمى الغايات: إذْ حثّت على كلّ فضيلة، ونهت عن كلّ رذيلة مثل: التجسّس، والغيبة، والنميمة، والتنابز بالألقاب.

كما توعّد الله تعالى الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى المؤمنين بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[النور: ١٩].

من هذا يتبيّن أنّ ستر عورة المسلمين تنبع من الخوف من الله تعالى، ثم من الحياء، وكل ذلك من الصفات الحميدة التى يجب أن يتحلّى بها المسلمون.

لذلك فإنى أهيب بكل مسلم ومسلمة أن يعوّد نفسه على التمسك بكلّ صفة حميدة، وأن يربّيها على غضّ الطرْف عن تتبع عورات المسلمين؛ ليفوز مع الفائزين. ونظرًا لأهميّة عدم التجسّس على المسلمين وهتك أسرارهم فقد جاءت السنّة المطهرة حافلة بالأحاديث التى ترغّب فى ستر عورة المسلمين، وتنهى عن إشاعتها، أقتبس منها ما يلى: فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «من نفّس عن مسْلم كُرْبة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كُرْبة من كرب يوم القيامة، ومن ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه»اهـ[1].

المعنى: تضمن هذا الحديث الشريف ثلاثة أمور يطيب لها قلب كل مؤمن، ويفرح بها:

الأوّل: أنّ من فرّج، أو أزال عن أخيه المسلم ما يجده من ضيق أو شدّة، أو غمّ، أو خوف، ابتغاء مرضاة الله تعالى، فإن الله سيكافئه على ذلك بأن ينفّس عنه كُرْبة، وشدّة من كرب يوم القيامة؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، انظر: الترغيب (٣/ ٤١١).

والثـانى: أن من ستر على أخيه المسلم عورة ستره الله فى الدنيا والآخرة.

والثـالث: أن من سعى فى قضاء حوائج إخوانه المسلمين وكان فى معونتهم، ومساعدتهم، كان الله فى معونته، وهنيئًا لمن أعانه الله تعالى.

وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يُسْلمه، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرّج عن مسلم كُرْبة فرّج الله عنه بها كرْبة من كرب القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»اهـ[١].

المعنى: من المبادئ السامية التى جاء بها ديننا الإسلامىّ الحنيف أنه دعا إلى إزالة الفوارق بين المسلمين، فالناس سواسية كأسنان المشط.

ومن حقّ المسلم على أخيه المسلم أن لا يظلمه فى أىّ شىء: سواء كان صغيرًا أو كبيرًا، فى المعاملات، أو فى غيرها، وأن لا يُسْلمه: بمعنى أن لا يتخلّى عنه فى الشدّة، ولا يتركه مع مَنْ يؤذيه، بل عليه أن ينصره، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرّج عن مسلم كرْبة من كرب الدنيا فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها فى بيته»اهـ[٢].

المعنى: من القواعد الثابتة، والقوانين المقرّرة أن الجزاء من جنس العمل، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

(١) رواه أبو داود، انظر: الترغيب (٣/ ٤١١).
(٢) رواه ابن ماجه بإسناد حسن، انظر: الترغيب (٣/ ٤١٦).

فمن ستر عورة أخيه المسلم فى الدنيا، ولم يفشها بين الناس ليفضحه بها، أثابه الله تعالى على ذلك، وستر عورته يوم القيامة، وهنيئًا لمن ستره الله فى ذلك اليوم العظيم.

أمّا مَنْ كشف عورة أخيه المسلم فأذاعها بين الناس، وهتك ستره، فإن الله سيعاقبه على ذلك فى يوم عصيب ألا وهو يوم القيامة، فيكشف عورته بين الخلائق، والويل ثم الويل لمن كشف الله عورته.

وعن أبى بَرْزة الأسلمىّ - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال:

«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من اتّبع عوراتهم تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله عورته يفضحه فى بيته» اهـ[١].

وأختم كلامى عن فضل ستر عورات المسلمين بالحديث التالى:

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال:

«لا يستر عبد عبدًا فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»اهـ[٢].

والله أعلم

(١) رواه أبو داود، وأبو يعلى بإسناد حسن، انظر: الترغيب (٣/ ٤١٧).
(٢) رواه مسلم، انظر: (٣/ ٤١٢).

المبحث الثالث عشر
أثر شكر صاحب الجميل فى تربية المسلمين والمسلمات

من الآداب الإسلامية: تقديم الشكر لصاحب الجميل، والدعاء له؛ إذْ ما عرفت البشرية فى تاريخها الطويل دينا سماويّا مثل الدين الإسلامىّ الحنيف:

حيث جاء تامّ البناء، ثابت الأركان، تعاليمه كلها على نسق واحد من الرقىّ، والتقدّم، والنّماء. كلها تدعو إلى المحبّة، والتعاون، والألفة، ومعرفة الجميل لذويه، والدعاء لصاحبه بالخير.

وإنى أدعو كلّ مسلم ومسلمة إلى أن يكون طيّب النّفس، يعرف لأهل الخير معروفهم، ويربّى نفسه على تقديم كلمة الشكر لكلّ مَنْ يمدّ له يد المساعدة فى أىّ شىء؛ إذْ فى ذلك دوام الصلة الحسنة بين الناس.

ومن يقرأ السنة المطهرة يجدها حافلة بالأحاديث التى تحثّ على تقديم الشكر لصاحب الجميل، أقتبس منها ما يلى: فعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجار بالله فأجيروه، ومن أتى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعو له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه»اهـ[١].

وعن الأشعث بن قيس - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«إنّ أشْكر الناس لله - تبارك وتعالى - أشْكرهم للناس»اهـ[٢].

وعن «عائشة» أم المؤمنين - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ أُتِىَ إليه معروف فليكافئ به، ومن لم يستطع فليذكره، فإنّ من ذكره فقد شكره، ومن تشبّع بما لم يُعْط فهو كلابس ثَوْبَىْ زور»اهـ[٣].

بل نجد تعاليم الإسلام السامية تنصّ صراحة على أن من لم يشكر الناس لم يشكر الله، يوضح ذلك الحديث التالى:

(١) رواه أبو داود، والنسائى، انظر: الترغيب (٢/ ١١٤).
(٢) رواه أحمد، ورواته ثقات، انظر: الترغيب (٢/ ١١٦).
(٣) رواه أحمد، ورواته ثقات، انظر: المصدر السابق.

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«لا يشكرُ اللهَ من لا يشكر الناس» اهـ[١].

والإنسان كريم الأصل، طيب العنصر، صاحب الأخلاق الفاضلة، والصلة بالله تعالى تجده إذَا أسْدى إليه أىُّ إنسان معروفًا سواء كان قليلا، أو كثيرًا، فإنه يبادر إلى تقديم الشكر له، والدعاء له؛ لأنه يعلم يقينًا أن عدم التحدّث بنعمة الله كفر، يشير إلى ذلك الحديث التالى: فعن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «مَنْ لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدّث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب»اهـ[٢].

وعن طلحة بن عبيد الله - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال:

«من أُولىَ معروفًا ليذكره، فمن ذكره فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره»اهـ[٣].

والله أعلم

(١) رواه أبو داود، والترمذى، وقال: صحيح، انظر الترغيب (٢/ ١١٧).
(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد، وغيره، انظر: المصدر السابق.
(٣) رواه الطبرانى، وابن أبى الدنيا، انظر: المصدر السابق.

المبحث الرابع عشر
أثر الصدق فى تربية المسلمين والمسلمات

الصِّدْق: هو الخبر المطابق للواقع.

والصدق من أسمى الصفات الحميدة، ولذا وصف الله به أنبياءه - عليهم الصلاة والسلام -:

فقال فى شأن أبى الأنبياء «إبراهيم» - عليه السلام -:

﴿ واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[مريم: ٤١].

وقال فى شأن «إدريس» - عليه السلام -:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[مريم: ٥٦].

وقال فى شأن «إسماعيل» - عليه السلام -:

﴿ واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ [مريم: ٥٤].

ولأهمية الصدق فى تعاليم الإسلام فقد أمرنا الله به فقال فى محكم كتابه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[التوبة: ١١٩].

وإنى أهيب بكل مسلم ومسلمة أن يلتزم بالصدق فى جميع المواقف، وأن يربّى نفسه على التعوّد على الصدّق ففيه النجاة، والفوز بسعادة الدارين، والصادق محبوب عند الله وعند الناس، والإنسان الصدوق يأتمنه الناس، ويحبّون التعامل معه.

ومن يقرأ القرآن والسنة المطهرة يجدهما حافلين بالنصوص التى تبين فضل الصدق وتحثّ عليه، أقتبس منهما ما يلى:

فمن القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[المائدة: ١١٩].

ومن السنة المطهرة الأحاديث الآتية: فعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنّة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدّيقًا، وإنّ الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّابا»اهـ[1].

المعنى: الصدق مصدر من مصادر الخير؛ لأنه يهدى صاحبه إلى فعل البر والبر كلمة جامعة تشمل جميع الأفعال الحسنة الحميدة التى بها تعاليم الإسلام.

وهذه الأفعال الحسنة هى الموصّلة إلى رضوان الله، وجنات النعيم.

والمسلم إذا ما التزم بالصدق، وداوم عليه كتبه الله من الصدّيقين.

والكذب مصدر من مصادر الشرّ؛ لأنه يسوق صاحبه إلى فعل الفجور، والفجور كلمة جامعة تشمل جميع الأفعال القبيحة التى نهى عنها الإسلام.

وهذه الأفعال السيئة تسوق مرتكبها إلى النار وبئس القرار.

ولا يزال الإنسان يكذب حتى يكتب عند الله كذّابًا.

وعن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«اضمنوا لى ستّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفّوا أيديكم»اهـ[2].

المعنى: أخبر الهادى البشير ﷺ فى هذا الحديث الشريف بأن هناك أمورًا ستّة، مَنْ التزم القيام بها، وأدّاها كاملة غير منقوصة ضَمِن له النبىّ ﷺ الجنّة:

الأول: أن يلتزم المسلم بالصدق دائمًا فى حديثه.

الثانى: إذا وعد التزم بوعده، ولايخلفه.

الثالث: أن يحافظ على أداء الأمانة أيّا كان نوعها.

---

(١) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٣٨.

(٢) رواه أحمد، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، انظر: الترغيب (٣/ ٨٣٨).

الرابع: أن يحفظ فرجه عمّا حرمه الله تعالى فلا يزنى.

الخامس: أن يغضّ بصره، فلا ينظر إلى النساء الأجانب.

السادس: أن يحفظ يديه، فلا يؤذى بهما أحد.

وأختم كلامى عن الصدق بالحديث الآتى: فعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «أربع إذا كنّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفّة فى طعمة»اهـ[(١) - (٢)].

والله أعلم

---

(١) وعفّة فى طعمة: أى فى مطعمه فلا يأكل إلا من حلال.

(٢) رواه أحمد، والبيهقى بإسناد حسن، انظر: الترغيب (٣/ ٨٤٠).

المبحث الخامس عشر أثر عدم إفشاء السر فى تربية المسلمين والمسلمات

الإنسان بطبعه، وفى حياته المليئة بالهموم، والآلام، والأحزان، فى أمسّ الحاجة إلى من يجلس إليه، ويُفضى إليه بآلامه الجسمانية، والنفسية، وأن يبث إليه شكواه؛ لأنّ فى ذلك تنفيسًا له عمّا يجده، ويحسّ به من آلام نفسيّة خطيرة، وهذا لا يقلّ فى أهميته عن الطبّ النفسىّ. فالطبيب النفسانىّ أحيانًا ما يعالج مرضاه بالكلمة الطيبة.

ومن الواجب على الإنسان أن يكون فَطِنًا عند اختياره لذلك الشخص الذى سيفضى إليه بأسراره.

من هذا المنطلق حرّمت تعاليم الإسلام على الإنسان أن يفشى سرا من الأسرار، واعتبرت ذلك خيانة للأمانة التى أوجب الله المحافظة عليها فى قوله تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وإنى أهيب بكل مسلم ومسلمة أن يلتزم بحفظ الأسرار، وعدم إفشائها، وأن يربّى نفسه على أن يكون أهلا لأسرار الناس، وذلك بكتمانها وعدم التحدّث بها، ففى ذلك الفوز بسعادة الدارين، وكَسْب حبّ الناس.

والإنسان الذى يتعود على عدم إفشاء الأسرار يحبّه الناس، والكل يودّ التعامل معه، ومصادقته، ومن الأسرار التى يجب على الإنسان المحافظة عليها: ما يدور فى المجالس، والمؤتمرات، والاجتماعات، يشير إلى ذلك الحديث التالى: فعن جابر ابن عبد الله - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «المجالس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرْج حرام، أو اقتطاع مال بغير حقّ»اهـ[1].

المعنى: بيّن الهادى البشير ﷺ أنّ المجالس بالأمانة، ومعنى ذلك أنه يجب على كل من يحضر مجلسًا من المجالس السرّيّة الخاصّة التى تُبحث فيها القضايا العامّة، أو الخاصّة، أو مصالح الدولة... إلخ.

(١) رواه أبو داود، انظر: الترغيب (٣/ ١٥٩).

يجب على من يحضر أحد هذه المجالس أن يكون أمينًا لما يسمعه، وما يدور من مناقشات، ومقترحات خلال المجلس، فيحفظه، ويكتمه، ولا يذيعه، ولا يفشيه لأىّ شخص مهما كان.

ومن الأسرار التى تجب المحافظة عليها، وعدم إفشائها: ما يدور بين الزوجين من كلام، أو جماع، أو غير ذلك. فمن أفشى سرّ زوجته فهو من أشرّ الناس منزلة عند الله تعالى، ومن أفشت سرّ زوجها فهى من أشرّ الناس منزلة عند الله تعالى.

يشير إلى ذلك الحديثان التاليان: فعن أبى سعيد الخدرىّ - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ من شرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجُلُ يُفضى إلى امرأته، وتُفضى إليه، ثم ينشر أحدُهما سرّ صاحبه».

وفى رواية: «إنّ من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجُلُ يُفْضى إلى امرأته، وتُفْضى إليه، ثم ينشر سرّها»اهـ[١].

المعنى: أخبر البشير النذير ﷺ بأن من شرّ الناس، وأقبحهم حالا يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته، وتفضى إليه، والمراد بالإفضاء هنا: الجماع، ومقدماته، ثم يذيع الرجل إلى أصدقائه، وجلسائه ما حدث بينه وبين زوجته، أو تذيع المرأة إلى صديقاتها ما حدث بينها، وبين زوجها.

وعن أبى سعيد الخدرىّ - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«ألا عسى أحدكم أن يخلو بأهله يغلق بابًا، ثم يرخى سترًا، ثم يقضى حاجته، ثم إذا خرج حدّث أصحابه بذلك، ألا عسى إحداكنّ أن تغلق بابها، وترخى سترها، فإذا قضت حاجتها حدّثت صواحبها»، فقالت امرأة سعفاء الخدّين[٢]: والله يا رسول الله إنهنّ ليفْعلن، وإنهم ليفعلون، فقال: «فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقى شيطانة على قارعة الطريق فقضى حاجته منها، ثم انصرف وتركها»اهـ[٣].

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، انظر: الترغيب (٣/ ١٥٦).
(٢) أى سوداوان مشربان بحمرة.
(٣) رواه البزار، انظر: الترغيب (٣/ ١٥٧).

ومن الأسرار التى يجب على الإنسان المحافظة عليها: أنك إذا كنت تستمع إلى حديث إنسان ووجدته يلتفت أثناء حديثه فاعلم أنه يحدّثك بحديث يجب عليك حفظه وعدم إفشائه؛ لأنه اعتبره أمانة عندك يجب عليك المحافظة عليه، يشير إلى ذلك الحديث التالى:

فعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا حدّث رجل رجلا بحديث، ثم التفت فهو أمانة»اهـ[1].

والله أعلم

---

(١) رواه أبو داود، والترمذى، انظر: الترغيب (٣/ ١٥٩).

المبحث السادس عشر أثر قراءة القرآن فى تربية المسلمين والمسلمات

من ينعم النظر فى السنة المطهرة يجدها حافلة بالأحاديث التى تحثّ على فضل قراءة القرآن، وهذا قبس منها: عن أبى أمامة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»اهـ(١).

وعن النّوّاس بن سمعان - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن، وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمه سورة البقرة، وآل عمران، تحاجان عن صاحبهما»اهـ(٢).

وعن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»اهـ(٣).

وعن «عائشة» أم المؤمنين - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن، ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»(٤).

وعن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأُتْرجّة: ريحها طيّب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة: ريحها طيب، وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة: ليس لها ريح وطعمها مرّ»اهـ(٥).

وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين»اهـ(٦).

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل، وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»اهـ(٧).

---

(١) - (٢) - (٣) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٤١٤.
(٤) - (٥) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٤١٥.
(٦) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٤١٦.
(٧) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٤١٦.

وعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: « آلمّ » حرْف، ولكن ألفٌ حرْف، ولامٌ حَرْف، وميم حرْف»اهـ[١].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتّل كما كنت ترتّل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»اهـ[٢].

مما تقدم تبيّن فضل قراءة القرآن وإنى أرجو من كل مسلم ومسلمة أن يكثر من قراءة «القرآن» وفقًا للكيفية التى نزل بها «جبريل» - عليه السلام - على نبينا «محمد» ﷺ، وعلمها الرسول - عليه الصلاة والسلام - صحابته، والصحابة علّموها التابعين، وهكذا حتّى وصلت إلينا بالسند الصحيح حتى رسول الله ﷺ.

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال فى: «قل هو الله أحد»: «إنها تعدل ثلث القرآن»اهـ[٣].

وعن أبى مسعود البدرىّ - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه»اهـ[٤].

والله أعلم

(١) رواه الترمذى وقال حسن صحيح، انظر: رياض الصالحين/ ٤١٦.
(٢) رواه أبو داود، والترمذى، وقال: حسن صحيح، انظر: رياض الصالحين/ ٤١٧.
(٣) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين/ ٤٢٠.
(٤) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين/ ٤٢١.

المبحث السابع عشر
أثر الوفاء بالعهد فى تربية المسلمين والمسلمات

من يقرأ التاريخ الطويل يمكنه أن يقرّر بأن الوفاء بالعهد من أهمّ القضايا التى حثت عليها تعاليم الإسلام.

وذلك لأنه يترتب على الوفاء بالعهد التعبير الواضح والصريح عن سلوكيّات كل إنسان على حدة.

وإنى أهيب بكل مسلم ومسلمة أن يلتزم بالوفاء بالعهد، وأن يربّى نفسه على التعود على هذه الصفة الحميدة، والإنسان الوفىّ بالعهد محبوب عند الله وعند الناس، ومن ينعم النظر فى نصوص القرآن الواردة فى الوفاء بالعهد يشعر لأوّل وهلة بمدى اهتمام الإسلام بهذه الصفة الكريمة، يتجلّى ذلك فى الصور الخمس الآتية:

الصورة الأولى: نجد الأمر من الله تعالى بالوفاء بالعهد مكرّرًا فى القرآن، وما ذلك إلا لبيان أهميته، اقرأ قول الله تعالى:

١ - ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١].

٢ - ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤].

٣ - ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

الصورة الثانية: نجد الوفاء بالعهد من صفات الله تعالى، يشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

الصورة الثالثة: تتجلى فى أن الله تعالى أخذ العهد على بنى آدم بعدم عبادة الشيطان لما فى ذلك من الضلالة والخسران المبين، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝﴾ [يس: ٦٠-٦١].

الصورة الرابعة: تظهر بجلاء ووضوح فى أن الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين، يدلّ على ذلك قول الله تعالى فى وصف المؤمنين:

﴿ والَّذين هُمْ لأَمانَاتِهِمْ وعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨].

الصورة الخامسة: تبيّن الأجر العظيم الذى أعدّه الله للموفين بالعهد يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ١٠].

كما نجد بعض النصوص القرآنية تنص على أن الله تعالى سيعاقب من يخون العهد بالعذاب الأليم يوم القيامة، يدلّ على ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[آل عمران: ٧٧]

تم الكتاب ولله الحمد والشكر.

والله أعلم

«الخاتمة»

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف النبيين والمرسلين سيّدنا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تمّ بعون الله تعالى وتوفيقه تصنيف كتابى:

تأملات فى أثر العبادات، وأعمال الطاعات، فى تربية المسلمين والمسلمات

وقد ضمنت كتابى هذا: مقدّمة، وتمهيدًا، وبابين، ضمنتهما اثنين وعشرين مبحثًا.

وقد بينت ولله الحمد من خلال مباحث هذا الكتاب:

أثر العبادات، وأعمال الطاعات، فى تربية المسلمين والمسلمات على طاعة الله تعالى، والعمل بتعاليم الإسلام، والتحلّى بالأخلاق الفاضلة، والصفات الكريمة، ولين الجانب، والحبّ لكل المسلمين والإحسان إلى كل مسلم ومسلمة، وأن يتغلّب كل مسلم ومسلمة على النفس الأمّارة بالسوء إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التى جاء بها الدين الإسلامىّ الحنيف.

عندئذ يفوز كل مسلم ومسلمة بجنّة عرضها السموات والأرض أعدّها الله تعالى لعباده المتقين المخلصين.

وختامًا أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجعل عملى هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين والمسلمات، وأن يجعلنى ممّن قال فيهم النبىّ ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه مُسْلم: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله».

كما أسأله - عزّ وجلّ - أن يعيننى دائمًا على خدمة كتابه، وسنة نبيّه عليه الصلاة والسلام.

وأن يغفر لى خطئى وتقصيرى، وأن يُحْسن خاتمتى فى الأمور كلها، وأن يتوفّنا على الإسلام والإيمان، وأن يجيرنا من النار وعذاب النار، وأن يشفّع فينا نبينا «محمداً» ﷺ والقرآن إنه سميع مجيب.

وصلِّ اللهمّ - على سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المؤلف

أ.د/ محمد محمد محمد سالم محيسن

غفر الله له ولوالديه وذريته والمسلمين

المدينة المنورة: ٢٧ رجب ١٤١٢هـ

الموافق ٣١ يناير ١٩٩٢م

الموضوع	الصفحة